تعقيبات

النحاس في إعراب القرآن

على آراء الفراء في معاني القرآن

دراسة تحليلية نقدية

دكتور

عبد اللطيف محمد محمد داود

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

بإيتاى البارود جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، علا بحوله ، ودنا بطوله .

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً متلازمين ما بزغ نجم أو تبلج صباح أو اخضر في فرع الأراك قضيب .

وبعد

فَقُرَّاءُ القرآن الكريم هم حملة سر الله المكنون وحفظة علمه المخزون خلفاء أنبيائه وأمناؤه ، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّ لِلَّهِ أهلين من الناس ، قالوا : يا رسول الله مَنْ هُمْ ؟ قال : هم أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصَّتُه[1] ﴾ اهـ

ولَمَّا كان لأهل القرآن هذه المنزلة السامقة عند الله عَزَّ وَجَلَّ تاقت نفسي إلى الاشتغال بخدمة الكتاب العزيز عسى أنْ أنال شرف الانتساب إلى أهل القرآن فأكون من الفائزين .

فوليت وجهي شطر " إعراب القرآن " لأبي جعفر النحاس – رحمه الله – أقرؤه قراءة فهم واستيعاب وتدقيق ، فألفيت أبا جعفر النحاس يروى

---

(١) انظر : سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني ابن ماجه بتحقيق وتعليق الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي ٧٨/١ طبع فيصل البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

بإسناده فى صدر كتابه – بعد بيان منهجه – عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قوله ﴿ تَعَلَّمُوْا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه[1] ﴾ اهـ

فكان لهذا الأثر تأثير في نفسي حَبَّبَ إليَّ قراءة هذا الكتاب النفيس الذى ملأه النحاس بالتحقيق وأفعمه بالتدقيق ، وشحن فيه أوابد علم الإعراب وشوارده، فالكتاب بحر زاخر بثروة لغوية ونحوية وصرفية ضخمة تفيض على شطآنه جداول من الأعاريب لآيات القرآن المجيد وبعد إعراب مباني الآيات يدلف النحاس إلى شرح معانيها موضِّحًا مغزاها ومرماها بأسلوب رصين وبالبلاغة غير ضنين ، ثم توجه النحاس صَوْبَ القراءات القرآنية فَوَجَّه الكثير منها ولاسيما القراءات التى تحتاج أَنْ يبين إعرابها والعلل فيها ثم حشد النحاس كثيرًا من الجموع واللهجات ونسب كل لهجة إلى أصحابها ذاكرًا خلاف العلماء في إجازة بعض اللهجات ، وقد تفنن النحاس في تضميخ كتابه بأقوال النحاة وما أجازه بعضهم ومنعه آخرون وبيان ما اختلفوا فيه من الأعاريب ووجوه النحو والتصريف ، فتراه أحيانًا يقبل آراءهم جميعًا إِنْ كانت لديه مرضية ، وأحيانًا يقبل رأيًا ويفند رَأْيًا آخر ، مستدلا على هذه التخطئة بالأدلة القاطعة والبراهين الدامغة .

وقد بَهَرَني موقف النحاس في إعراب القرآن من أبي زكريا الفراء في كتابه " معاني القرآن " فرأيت النحاس يستحسن رأيه حينًا ويستهجن

---

(١) انظر : إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس بتحقيق د/زهير غازى زاهد ١٦٦/١ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

رأيه أحياناً ، فكان يتعقب آراءه كثيرًا ويفند أعاريبه على الرغم من اعترافه بأنَّ الفراء من النحويين الحذاق الموثوق بعلمهم(١) .

وسبب ذلك عندي أنَّ النحاس يحتفظ لنفسه بحرية الرأي وانطلاق الفكر فهولا يعرف الحجر على الآراء ولا تقديس رأي الفرد مهما علت منزلته وسمت مكانته فتعلقت نفسي بهذه التعقيبات فقرأتها قراءة فهم واستيعاب .

وقد تتبعت تعقيبات النحاس على آراء الفراء فى سورة آل عمران والنساء والمائدة فوجدتها عشرة ، وهي متنوعة بين إعراب جزء آية ، أو بيان تركيب اسم وما يتعلق بهذا التركيب من الإعراب ، أو بيان معنى حرف من حروف المعاني أو حركته أو استعماله وما يرتبط بذلك من الإعراب ، وقد اخترت أنْ يكون ترتيب هذا المقصود وطريقة هذا المونود في :

مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة

المقدمة : ذكرت فيها أهم الأسباب التى دفعتني إلى كتابة هذا البحث

تمهيد : مع النحاس والفراء وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفراء حياته ومؤلفاته ثم وفاته ثم كلمة عن كتابه "معاني القرآن " .

المطلب الثاني : النحاس حياته وآثاره ومنهجه في " إعراب القرآن " وموقفه من النحاة عمومًا والفراء خصوصاً .

---

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٢٧/٤ .

المبحث الأول : في الأسماء وفيه ستةّ تعقيبات :

التعقيب الأول : تعقيب النحاس على الفراء في إعراب (أمة) في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ [1] ﴾

التعقيب الثاني : تعقيب النحاس على الفراء في متعلق الجار والمجرور في قول الله ﷻ :﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ [2] ﴾

التعقيب الثالث : تعقيب النحاس على الفراء في (ما) في قول الله ﷻ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ [3] ﴾ .

التعقيب الرابع : تعقيب النحاس على الفراء في توجيه نصب (خَيْرًا) في قول الله ﷻ : ﴿ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ [4] ﴾ .

التعقيب الخامس : تعقيب النحاس على الفراء في موضع المصدر المؤول من الإعراب في قول الله ﷻ : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا [5] ﴾ .

التعقيب السادس : تعقيب النحاس على الفراء في تجويزه بناء الظرف المضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المضارعية على الفتح.

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٣ .
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ١١
(٣) سورة النساء من الآية رقم ٣
(٤) سورة النساء من الآية رقم ١٧١
(٥) سورة النساء من الآية رقم ١٧٦

المبحث الثاني : في الحروف : وفيه أربع تعقيبات :

التعقيب الأول : تعقيب النحاس على الفراء في (اللَّهُمَّ) وذلك في قول الله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ [1] ﴾

التعقيب الثاني : تعقيب النحاس على الفراء في (أَنْ) المُفَسِّرَة في قول الله ﷻ :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّنَعْبُدَ إِلاَّاللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ [2]﴾

التعقيب الثالث : تعقيب النحاس على الفراء في اللام الواقعة بعد فِعْلَي الإرادة والأمر في مثل قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ [3] ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ [4] ﴾

التعقيب الرابع : تعقيب النحاس على ما حكاه الفراء عن بني سُلَيْمٍ من فتحهم لام الأمر إذا استؤنفت نحو : لَيَقُمْ زَيْدٌ ، وما حكاه عن تميم من فتحهم لام كي .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث

وقد نسجت خطة هذا البحث على منوال الخطوات التالية :

١- وضعت عنوانًا للمسألة موضوع تعقيب النحاس على الفراء بحيث يتسق هذا العنوان مع الآية القرآنية محل التعقيب .

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٢٦
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤
(٣) سورة النساء من الآية رقم ٢٦
(٤) سورة الأنعام من الآية رقم ٧١

٢- مَهَّدْتُ للمسألة النحوية موضوع التعقيب بتمهيد موجز مُكْتَفِيًا بالإحالة على المراجع التى وردت فيها هذه المسألة .

٣- نقلت نص النحاس في القراءة القرآنية أو المسألة النحوية.

٤- عرضت الآراء التى ذكرها النحاس في النص ، وإِنْ كان في المسألة النحوية آراء أُخَر تغافل عنها النحاس ذكرتها ووضحتها .

٥- بَيَّنْتُ موقف النحاس من الآراء التى ذكرها في نصه ولاسيما موقفه من الفراء .

٦- نقلت رأي الفراء في كل مسألة بنصه ، ثم شرحت هذا النص .

٧- ذكرت تعقيب النحاس على الفراء بفصه ونصه موضحًا مغزاه ومرماه.

٨- ضَمَّخْتُ أكثر مسائل هذا البحث بذكر رأيي في تعقيب النحاس على الفراء .

٩- ذَيَّلْتُ أغلب صفحات البحث بحواشٍ فسرت فيها بعض الكلمات المحتاجه إلى تفسير ، وترجمت لبعض الأعلام وشرحت جُلَّ الأبيات المحتج بها ونسبتها إلى بحورها وقائليها ما أمكن ، وذكرت المصادر التى رجعت إليها.

وكنت في كل مسألة أرجع إلى أمهات الكتب في القراءات والنحو واللغة والتفسير والأدب بغية الوصول إلى الحكم الصحيح عند الاختيار والترجيح ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم الثمار التى قطفتها من هذا البحث ثم ذَيَّلْتُ البحث بفهارس علمية متنوعة ليسهل الانتفاع بالبحث.

فإن أكن قد وفقت فيما صنعت فبالله التوفيق وإنْ كانت الأخرى فحسبي أنني لم آل جهدًا ولم أدخر وسعًا في أنْ أضيف إلى المكتبة العربية جديدًا لم يدرس على الصورة التى أوردتها حتى ظهر البحث – بفضل الله – جديد الملامح والسمات واضح المعالم والقسمات جديدًا بهيكله الذى بنيته وثوبه الذى ألبسته وأملي أنْ يسهم هذا البحث في خدمة الدراسة القرآنية واللغة العربية .

وَأَرْفَعُ أكف الضراعة إلى الله العَلِيِّ القدير أَنْ ينفع به وأَنْ يدخر لى عنده أجره في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى الله بقلب سليم إنه سميع قريب مجيب .

الباحث

دكتور

عبد اللطيف محمد محمد داود

تمهيد :

تعريف بالفراء والنحاس

وفيه مطلبان

المطلب الأول : الفراء حياته وآثاره ثم كلمة عن كتابه "معاني القرآن" ثم وفاته .

المطلب الثاني : النحاس حياته وآثاره ومنهجه في " إعراب القرآن " وموقفه من النحاة عامة والفراء خاصة .

المطلب الأول

الفراء حياته وآثاره

ثم كلمة عن كتابه (معانى القرآن) ثم وفاته .

نسبه : هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلميَ الكوفيَ مولى بنى أسد المعروف بالفراء أبى زكريا [1] ، ولقب يحيى بن زياد بالفراء لأنه كان يفري الكلام ، أى يحسن تقطيعه وتفصيله فهو فَعَّال من الفَرْي صيغة مبالغة وقال بعضهم : سُمِيَّ فَرّاء لقطعه الخصوم بالمسائل التى يعنت بها من قولهم : فَرَى إِذَا قطع . [2]

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٩/٢٠ ، ١٠ طبع دار الفكر ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت د/ إحسان عباس ١٧٦/٦ طبع دار الثقافة ببيروت لبنان ، وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة د/أحمد مكى الأنصاري ص ١٩ - ٤٦ طبع الأميرية بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م .

(٢) انظر : مقدمة معاني القرآن ٨/١ ، وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص٣١ - ٤٣ .

قال زهير :

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـــ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُـمَّ لاَ يَفْـرِيْ (١)

معناه تُنَفِّذُ ما تعزمُ عليه وتُقَدِّرُه وهو مَثَلٌ . (٢)

مولده :

ولد الفراء فى الكوفة سنة ١٤٤هـ ، ويبدو أنه نشـأ بهـا نشـأته الأولى كذلك وظل بها حتى ظهرت مواهبه وبَزَّ أقرانه فلقبوه بالفراء ؛ لأنه كان يفري الخصوم بالمسائل التى يعنت بها ، ولَمَّا شب عن الطوق رحـل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها ، إذْ كانت مَقَرًّا للخلافة ومطمح الأنظار يفد إليها العلماء والشعراء من كل صوب وحـدب يلتمسـون فيهـا الحظـوة والشهرة والمال .

شيوخه :

تتلمذ الفراء على شيوخ كثيرين ، ولكن المترجمين للفراء لا يذكرون إلا القليل من هؤلاء مَنْ ذكرهم الفراء في " معاني القرآن " وهم :

١- قيس بن الربيع ، توفي سنة ١٦٦ هـ ، وقيل : ١٦٧ هـ ، وقيـل : سنة ١٦٨ هـ . (٣)

٢- مندل بن علي العنزي ، توفي سنة ١٦٧ هـ . (٤)

---

(١) البيت من بحر الكامل عروضه حذاء وضربه أحذ مضمر .

(٢) انظر : لسان العرب مادة (ف ر ا) ٣٤٠٨/٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م .

(٣) انظر : معاني القـرآن ١٥٢/٣ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٢٣١/٣ ، ٢٥٥ ، ٢٩٦ .

٣- أبو الأحوص سلام بن سليم ، توفي سنة ١٧١هـ . (١)

٤- أبو بكر بن عياش ، توفي سنة ١٩٢هـ . (٢)

٥- سفيان بن عيينة ، توفي سنة ١٩٨هـ . (٣)

٦- أبو جعفر الرؤاسي ، توفي سنة ١٩٠هـ . (٤)

٧- علي بن حمزة الكسائيّ ، توفي سنة ١٨٩هـ . (٥)

وكذلك أخذ عن محمد بن الفضل المروزي (٦) ، وإسماعيل بن جعفر المديني (٧) ، ومحمد بن مروان (٨) ، وحِبَّان بن علي (٩)،وعلي بن غراب(١٠) ويحيى بن سلمة بن كهيل (١١) ، والفضيل بن عياض (١٢) ، والحسن بن

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢٠٦/٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١٨٠/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٧٧/٣ ، ١٧٩ ، ٢٥١ ، وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٠٥/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٢٩٩/٣ ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٨٢/١ ،٨٣

(٥) انظر : معاني القرآن ١٦٦/٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٤ ، ٢٩٠ ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ١٦٢/٢/١-١٦٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن ١٧٢/٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢٩٠/٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٢٨٣/٣ .

(٩) انظر : معاني القرآن ١٤٤/٣ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ .

(١٠) انظر : معاني القرآن ٢٤٠/٣ .

(١١) انظر : معاني القرآن ٢١٠/٣ .

(١٢) انظر : معاني القرآن ١٢٩/٣ ، ٢٠٥ .

عياش أخي أبي بكر بن عياش [١] ، وعبد الله بن المبارك [٢] ، وأبو زيـــاد الكلابي [٣] ، وشريك بن عبد الله [٤] ، ومحمد بن عبد العزيز التميمي أبـــو سعيد [٥] ، وأبو ليلى السجستاني . [٦] .

هذا ولست أزعم أنني أحصيت كل من أخذ عنهم الفراء فهناك شيوخ كثيرون للفراء ضربت صفحاً عن ذكرهم ، وإنما ذكرت بعض من تـــرددت أسماؤهم في كتابه " معاني القرآن " ؛ لأن الحديث عن شيوخ الفراء جميعاً يحتاج على موسوعة ضخمة .

تلاميذه :

للفراء تلاميذ كثيرون منهم جودى بن عثمان[٧] ، وأبو عبيد القاســـم بن سلام [٨] ، وعمر بن بُكَيْرٍ [٩] الذى أَلَّفَ له الفراء (معاني القـــرآن) ، ومحمد بن عبد الله بن قادم النحوي[١٠] ، وأبو محمد ســـلمة بـــن عاصـــم

---

(١) انظر : معاني القرآن ١٩١/٣ .
(٢) انظر : معاني القرآن ٢٦٢/٣ .
(٣) انظر : معاني القرآن ١٩٧/٣ .
(٤) انظر : معاني القرآن ٢٣١/٣ .
(٥) انظر : معاني القرآن ٢٣١/٣ .
(٦) انظر : معاني القرآن ١٢٩/٣ .
(٧) راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطى ٤٩٠/١ .
(٨) راجع ترجمته في بغية الوعاة ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ .
(٩) راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموى١٥/٢٦٢ – ٢٦٧ ، وبغيـــة الوعـــاة فـــي طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢١٧/٢ تح أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبع المكتبـــة العصرية بيروت لبنان .
(١٠) راجع ترجمته في بغية الوعاة ١٤٠/١ ، ١٤١ .

البغدادي [1] أحد رواة كتب الفراء توفي سنة ٣١٠ هـ ، ومحمد بن الجهم بن هارون أبو عبد الله السِّمَرِيّ البغداديّ [2] راوي كتاب (معانى القرآن) وغيرهم كثيرون . [3]

أخلاقه :

كان الفراء – رحمه الله – وَرِعًا متدينًا بارًا بأهله وعشيرته وَفِيًّا لأشياخه حَفِيًّا بأصحابه عَفَّ اللسان سمحًا مُحَبَبًا إلى النفوس ، يتحرى الصدق في المودة والعداوة له صدر رحب وقلب كبير يصون نفسه عن التبذل كما كان يتحلى بأخلاق العلماء في الرجوع إلى الحق مهما صغر مصدره . [4]

آثاره :

انتقل الفراء إلى جوار ربه تاركا وراءه تسعة وعشرين كتابًا عدت عليها عوادي الزمن ولم يصل إلينا منها سوى أربعة كتب هي [5] : الأيام والليالى والشهور ، والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث ومعانى القرآن.

---

(١) راجع ترجمته في بغية الوعاة ٥٩٦/١ ، والأعلام للزركلي ١١٣/٣ .

(٢) راجع ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ١١٣/٢ عني بنشره ج برجستراسر نشر مكتبة المتنبى بالقاهرة .

(٣) انظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة د/ أحمد مكى الأنصاري ص ١٣٧-١٤٧.

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٥٧-٦٩ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص ١٧٠-٢٠٤ .

سبب تأليف معاني القرآن

سبب إملاء كتاب " معانى القرآن " أَنَّ أحد أصحاب الفراء وهو :عمر بن بُكَيْرٍ كان يصحب الأمير الحسن بن سهل توفي سنة ٢٣٦ هـ [١] ، فكتب عمر بن بُكَيْرٍ إلى الفراء إِنَّ الأمير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب فَإِنْ رأيت أَنْ تجمع لى أصولا وتجعل ذلك كتابا يرجع إليه فعلت ، فَلَمَّا قرأ الفراء الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن ، وجعل لهم يومًا فَلَمَّا حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القُرَّاءِ فقال : اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ، ففسرها الفراء ، حَتَّى مَرَّ في القرآن كله على ذلك يقرأ المؤذن والفراء يفسِّره ، وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحدًا أَنْ يزيد عليه[٢]

تاريخ تأليف معاني القرآن :

حدد محمد بن الجهم بن هارون السمريّ – راوى كتاب معاني القرآن– تاريخ تأليف معاني القرآن تحديدًا دقيقا فقال : " هذا كتاب فيه معاني القرآن ، أملاه علينا أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء – يرحمه الله – عن حفظه من غير نسخة في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات

---

(١) انظر : ترجمته في الأعلام للزركلى ١٩٢/٢ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت د / إحسان عباس ١٧٨/٦ طبع دار الثقافة ببيروت لبنان

والجمع في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين وفى شهور سنة ثـــلاث وشهور من سنة أربع ومائتين (١)

وفاة الفراء :

توفى الفراء سنة سبع ومائتين من الهجرة بطريق مكة أثناء عودته منها بعد أدائه فريضة الحج وعمره ثلاث وستون ســنة (٢) – يرحمـــه الله تعالى –

منهج الفراء في معاني القرآن :

لم يصنع الفراء مقدمة لكتابه يوضح فيها منهجه الذى سار عليه في تأليفه ، وليست للكتاب خاتمة أيضًا مع جلالة قدر الكتاب وإحكـــام بنائـــه ، لذلك حاولت – قدر طاقتى – رسم صورة للخطوط العامـــة التـــى انتهجهـــا الفراء في تأليف كتابه

وتتلخص في النقاط التالية :

١- كان الفراء – يرحمه الله – في تفسيره " معانى القرآن " يتخيـــر مـــن الآيات على ترتيب السور في المصحف الشريف ما يدير حولها مباحثه اللغوية والنحوية والصرفية وبذلك يحل مشكلها ويوضح غامضها مَدْلِيًا بآرائه النحوية وبما اختاره للنحو من مصطلحات جديدة نَاثِرًا من حـــين

---

(١) معاني القرآن للفراء الصفحة الأولى ١/١ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعـــة الثانيـــة ١٩٨٠م

(٢) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨١/٦ ، وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغـــة ص ١٤٧ – ١٥٢ والأعلام لخير الدين الزركليّ ١٤٥/٨

إلى حين آراء أستاذه الكسائي وآراء النحويين البصريين بالتأييد تـــارة وبالمعارضة تارة أخرى .

٢- أحياناً يفسر الفراء الآية بآية أخرى وهذا كثير. (١)

٣- قد يفسر الفراء جزء من الآية القرآنية بالحديث الشريف(٢) ، وقد يحتج للقراءة بالحديث الشريف (٣)

٤- أحياناً يفسر الآية القرآنية بأقوال الصحابة (٤) - رضوان الله عليهم - أو بأمثال العرب(٥) .

٥- طوراً يروى عن المفسرين قولهم في توضيح معنى الآية القرآنية ، إلاَّ أنه لم يكن يعتمد على أقوالهم كثيراً بل كان يورد إلـــى جوارهـــا رأيـــه الخاص(٦) وأحياناً يورد رأي المفسرين في الآية ليبين مـــا فيـــه مـــن أخطاء. (٧)

---

(١) انظر : معانى القـــرآن ١/١٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٧/٢ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٤٠ ، ١٩٨ ، ٦١/٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢

(٢) انظر: معـــاني القـــرآن ٣٨/١ ، ٦٢، ٦٥ ، ٢٦٦، ١٤٦ ، ٢٨٠ ، ٣٢١ ، ٤١٦ ، ٥٩/٢ ، ٤٠٠ ، ٢٨٨/٣

(٣) انظر : معاني القرآن ٥/١ ، ١٤٦ ، ٤٦٨ ، ١٨٣/٣

(٤) انظر : معاني القرآن ٢٥/١ ، ٤٦١ ، ٣٨٨/٢ ، ٩٧/٣ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦

(٥) انظر : معاني القرآن ٤٠٢/٢

(٦) انظر : معاني القرآن ٣٧/١ ، ١١٨/٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٧) انظر : معاني القرآن ١٥٦/٣ ، ٢٠٨

٦- طورًا يفسِّر القرآن بالشعر تفسيرًا مباشرًا [١] ، وقد يستشهد بالشعر أثناء تفسيره وهو كثير [٢] .

٧- تارة يفسِّر القرآن على ضوء ما يقوله العرب فقد فسَّر التخليد بعدم التغيير [٣] في قول الله ﷻ : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ [٤] ﴾ .

٨- قد يميل الفراء إلى التفسير بالظاهر مثلما جاء في قول الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ [٥] ﴾ ذكر الفراء أنَّ السلسلة تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه ، فذلك سلكه فيها ، والمعنى ثم اسلكوه فيه سلسلة [٦] .

٩- كان الفراء في كثير من مواقفه لا يميل إلى التفسير بالظاهر وهو كثير، قال في قول الله ﷻ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى [٧] ﴾ أقسم - تبارك وتعالى - بالقرآن لأَنَّهُ كان ينزل نجومًا الآية والآيتان وكان بين أول نزوله وآخرة عشرون سنة [٨] " اهـ

---

(١) انظر : معاني القرآن ٤/٢ ، ١١٢ ، ١٤٠ ، ٩٢/٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١١١/٣ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢١٦

(٢) انظر : معاني القرآن ٧٧/٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٢٧/٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣/٣ ، ١٢٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١٢٢/٣ ، ١٢٣

(٤) سورة الواقعة الآية رقم ١٧

(٥) سورة الحاقة الآية رقم ٣٢

(٦) انظر : معاني القرآن ١٨٢/٣

(٧) سورة النجم الآية رقم ١

(٨) معاني القرآن ٩٤/٣

ولم يذهب الفراء إلى تفسير النجوم بالكواكب كما فعل بعض المفسرين، وحكى الفراء بسنده في قول الله ﷻ : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [1] ﴾ قال : هو محكم القرآن . [2]

١٠- كان الفراء ينسب القراءة أو القراءتين في الآية إلى مَنْ قرأ بها أو بهما وهذه النسبة ليست بالصورة التى نراها عند ابن مجاهد في كتابه السبعة ، أو ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر أو غيرهما من علماء القراءات المتأخرين وإنما كان الفراء ينسب القراءة بحسب ما بلغته .[3]

وكان الفراء يتثبت من القراءة ويسأل عنها أئمة القراءات[4] ثم يوجه الفراء القراءة أو القراءتين أو القراءات .

١١- كان الفراء أحياناً ينسب القراءة ويرفعها إلى رسول[5] الله ﷺ ثم يوجه الفراء القراءة .

---

(١) سورة الواقعة الآية رقم ٧٥

(٢) انظر : معاني القرآن ٩٤/٣ ، ١٢٩

(٣) انظر : معاني القرآن ١٣/١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠-٨٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠-١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ١٢/٢ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٥٠/٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٣-٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢

(٤) انظر : معاني القرآن ١٢٢/٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨/٣ ، ١٩٧

(٥) انظر : معاني القرآن ٣١٠/١ ، ٣٢٥ ، ١٨/٢ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ١٠٧/٣ ، ١٣١ ، ٢٦٢

١٢- لا تكاد صفحة من صفحات معاني القرآن تخلو من توجيه قراءة نحويًا .

١٣- قد يوجه الفراء القراءة صرفيًا[١] وهذا كثير .

١٤- قد يستجود الفراء القراءة [٢] ، أو يفضل قراءة على قراءة أخرى ، وقد يحتج للقراءة التى يفضلها بتحقيق الموسيقا اللفظية فيها ، وذلك لمشاكلة رءوس [٣] الآيات .

١٥- قد يفاضل الفراء بين القراءات – لا على أساس الرواية والسند – بل على مدى قربها من الأساليب العربية الفصحية في نظره [٤] .

١٦- قد يكون في الآية القرآنية قراءتان فينص الفراء على قراءة واحدة ، ثم يقول عن القراءة الثانية ولو قرىء كذا كان صوابًا ولم أسمعه من قارىء ، أو يقول : ولو قرئت كذا لكان صوابًا ، أو يقول : ولو قرئت كذا كانا وجهين مع أنَّ ما جَوَّزَهُ الفراء واستصوبه قراءة قُرِءَ بها [٥] .

---

(١) انظر: معاني القرآن ٢٦٣/١ ، ٢٦٤ ، ٣٣١، ٢٧٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ١٢٦/٢-١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣٥٩

(٢) انظر : معاني القرآن ١١٢/١ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ٢٧٩ ، ٢٧١/٢ ، ٢٧٨ ، ٢٣١/٣ ، ٢٦٥

(٣)انظر:معاني القرآن٢٣١/٣، ٢٢٦، ٢٢٤ ، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٦٧، ٢٦٠، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧

(٤) انظر : معاني القرآن ٤١/١ ، ٢٢٥/٣ ، ٢٦٥

(٥) انظر : موقف القراء من القراءات القرآنية د/ عبد اللطيف محمد داود ص٣٩-٤٢ طبع اللوتس بدمنهور بحير الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

أنكر الفراء قراءات سبعية وغير سبعية وقبح بعضها ولحن بعضها ولم يستحب بعضها وقد بلغ عدد القراءات التى وجه إليها الفراء سهام النقد والتجريح – حسب إحصائى – ثمانياً وثلاثين قراءة [١] .

١٨- سبب حملة الفراء على القُرَّاء بالطعن في قراءتهم وتلحينهم ونسبة الوهم إليهم رغبة الفراء ومَنْ شايعه من النحاة في أنْ تطرد أقيستهم وتستقيم قواعدهم التى هاموا بها واطمأنوا إليها وجعلوا كلمتها هى العليا احتكموا إليها فكانت حكما ترضى حكومته ولا تسمع إلا كلمته غير ناظرين إلى الفرق بين كلام الحق وكلام الخلق ، وقد يكون الطعن بسبب عدم وصول تواترها إليهم .

١٩-خَطَّأَ الفراء بعض آراء شيخه الكسائي لأنه لا يرى فيه النحويَ الضليع صرح بذلك حينًا وألمح بذلك أحيانًا [٢] ، بل رفض الفراء قراءة الكسائيِّ السبعية : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ [٣] ﴾ .

قال الفراء : " قوله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ) ... قال الفراء : والفتح أَحَبُّ إليَّ وقال بعضهم : قرأ الكسائيُّ بالرفع ، فقال : أخالفه أَشَدَّ الخلاف[٤]"اهـ.

---

(١) جمعت هذه القراءات وناقشت رأي الفراء فيها في كتابي موقف الفراء من القراءات القرآنية ص١٢٥-٢٩٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢٩/١ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ١٠٠/٢ ، ١٠١ ، ١٥٢ ، ٢٩٩/٣ .

(٣) سورة الإسراء من الآية رقم ١٠٢ .

(٤) معاني القرآن ١٣٢/٢

٢٠- يرى الفراء أنَّ الاحتجاج بالقرآن أقوى من الاحتجاج بالشعر ، قال : " الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر[١] " اهـ

هذه بعض الخيوط الهامة التى نسج منها الفراء كتابه " معاني القرآن " ولست أدعى أنني أوفيت على الغاية في رسم صورة كاملة لمنهج الفراء في (معاني القرآن) لأنه كثير الأفانين ، فليكن ما قدمته عن منهجه بلالة صديان وعجالة لهفان ، هذا ويلزم التنبيه على أنني لم أتوسع في دراسة مناحي النحاس والفراء لأنَّ هذا الموضوع مطروق خاض فيه كل مَنْ كتب عن الرجلين ، ولأنَّ هذا التمهيد ليس من صميم بحثى فلهذا آثرت الإيجاز قدر الإمكان وبالله التوفيق .

(١) معاني القرآن ١/١٤

المطلب الثاني

النحاس حياته وآثاره ومنهجه في

" إعراب القرآن "

وموقفه من النحاة عمومًا والفراء خصوصا

نسبه :

هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ المصريّ النحويّ كنيته أبو جعفر[١] ، ولقبه المشهور هو النَحَّاسُ [٢] – بفتح النون والحاء المشددة المهملة وبعد الحاء ألف وسين – وهى نسبة إلى مَنْ يعمل النحاس وأهل مصر يقولون لمن يصنع الأوانى الصفرية النحاس ، وقد أطلق على أبي جعفر أنه ابن النحاس [٣] ، وقد ذكر أبو البركات الأنبارى أنَّ أبا جعفر يلقب بالصَّفَار [٤] .

مولده ونشأته :

لم تذكر كتب التراجم التي اطلعت عليها السنه التي ولد فيها أبوجعفر النحاس ، ولا مكان ولادته ولا أطوار نشأته الأولى ، وكل ما ذكرته أنه ولد

---

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ت د/ غازى زاهد ١٦٥/١ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م ، وشرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس ت د/ وهبه متولى عمر سالمة ص٤١ طبع نهضة مصر بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

(٢) صرح النحاس بهذا اللقب مرتين في كتابه إعراب القرآن انظر ١٦٥/١ ، ٣٥٣ .

(٣) انظر : شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ص٤١

(٤) انظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين الأنبارى ت أ / محمد أبو الفضل إبراهيم ص٣٩١ طبع ونشر دار نهضة مصر بالفجالة بالقاهرة

بمصر وتوفي فيها ؛ ولذلك لا يستطيع الباحث أن يحدد سنة مولده على سبيل اليقين ، ويغلب على ظنى أنَّه ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ويرجح هذا الظن أن بعض كتب التراجم (١) ذكرت أن أبا جعفر النحاس رحل إلى بغداد وأخذ عن أبي العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وغني عن البيان أنَّ مولد أبي جعفر لابد أنْ يكون سابقاً على وفاة شيخه المبرد بمدة تسمح له بالقدرة على السفر والرحلة في طلب العلم ، ويغلب على الظن أنَّ أبا جعفر تلقى دراساته الأولى في النحو واللغة على أيدى العلماء المصريين قبل أن يرحل إلى بغداد ، ويرجح هذا الظن أنَّ أبا جعفر رحل على بغداد للتعمق والتبحر في دراسة النحو واللغة ، ويبعد عندي أنْ يسافر إلى بغداد لهذه الغاية وهو لا يعرف المبادئ الأولية في النحو واللغة .

رحلته إلى بغداد :

كانت بغداد أيام أبي جعفر النحاس محط رحال العلماء والطلاب ، يسعى إليها العلماء رغبة في الشهرة والكسب ، ويرحل إليها الطلاب رغبة في العلم والمعرفة .

وقد ذكر من ترجم للنحاس أنه رحل إلى بغداد ، ولكنهم لم يحددوا السنة التي رحل فيها .

وفي أثناء إقامة أبي جعفر ببغداد كانت توجد ثلاث مدارس من مدارس النحو العربي ، هي :

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٤/٢٢٤ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطيّ ١/٣٦٢ ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنبارى ص٣٩١.

١- مدرسة البصرة ، ويمثلها أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المتوفى سنة ٢٨٥ هـ [١] وأصحابه .

٢- مدرسة الكوفة ، ويمثلها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ [٢] وأصحابه .

٣- مدرسة بغداد ، ويمثلها محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ ، وقيل : سنة ٣٢٠ هـ [٣] وأصحابه .

وكان اتجاه أبي جعفر النحاس حين رحل إلى بغداد الأخذ عن أبي العباس محمد يزيد المبرد [٤] إمام نحاة البصرة وتلاميذه ، وفي مقدمتهم أبو إسحاق الزجاج [٥] المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، ويبدو أنَّ أبا جعفر النحاس لم يقنع بما أخذه عن نحاة البصرة ، ولكنه اختلف إلى أصحاب ثعلب ، ومنهم نفطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ،

---

(١) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ٢/٣٦٩ -٣٧١ .

(٢) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ٢/٣٩٦-٣٩٨ .

(٣) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ١/١٨ ، ١٩ .

(٤) ذكر الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ١٥/٤٠١ أنَّ النحاس لم يسمع من المبرد ، فما أدركه ، ويرجح قول الذهبي أنَّ النحاس يروي في كتابه " معاني القرآن " عن المبرد بطريق غير مباشر ، فقد ورد مثلاً : سمعت أو حدثنا علي بن سليمان عن المبرد ، أو محمد بن الوليد عن المبرد ، أو أبو إسحاق الزجاج عن المبرد . انظر : إعراب القرآن ٣/١٥٥ ، ٥/٢٤٨ ، ١/٢٣٧ ، ٥/١٣١ .

(٥) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ١/٤٢٨ ، ٤٣٠ ، والأعلام للزركلي ١/٦١

وقد صرح النحاس بأخذه عنه [١] ، وابن رستم أحمد بن محمد الطبري[٢] ، فقد صرح النحاس بأنه حدثه . [٣]

ثم اختلف أبو جعفر النحاس إلى حلقات ابن كيسان [٤] وغيره من أوائل البغداديين ، وقد سمع النحاس منه [٥] ، ثم ذهب أبو جعفر إلى حلقات القُرَّاء ببغداد ليأخذ عنهم الحروف والقراءات ، صرَّح بذلك السيوطي [٦] حيث ذكر أنَّ أبا جعفر النحاس روى الحروف عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ المقرئ ببغداد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وقد أقام أبو جعفر النحاس مدة من الزمن ، ثم عاد إلى مصر حيث قضى بها بقية حياته باحثاً مدارساً ومعلِماً ومؤلِفاً .

عودته إلى مصر :

لم تذكر كتب التراجم التي اطلعت عليها السنةَ التي عاد فيها النحاس من بغداد إلى مصر ، ولكني أستطيع أنْ أحدد ذلك على وجه التقريب من العبارة التي أوردها السيوطي في ترجمة النحاس وهي : " ... وعاد إلى مصر ، وسمع النسائي وغيره " . اهـ . [٧]

---

(١) انظر : إعراب القرآن ٢/١٧٠ ، ٥/٨٤ .
(٢) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ١/٣٨٧ .
(٣) انظر : إعراب القرآن ٢/٤٣ .
(٤) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ١/١٨ ، ١٩ .
(٥) انظر : إعراب القرآن ١/١٨٦ ، ٢/٧٤ ، ٣/٤٦ ، ٢١١
(٦) انظر : بغية الوعاة للسيوطى ١/٣٦٢ ،
(٧) انظر : بغية الوعاة للسيوطى ١/٣٦٢ ،

والنسائي : أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار صاحب السنن الكبرى في الحديث والمجتبى من الكتب الستة في الحديث ، خرج من مصر إلى الرملة بفلسطين فسئل عن فضل معاوية فأمسك عنه ، فضربوه في الجامع وأخرج عليلاً فمات ، ودفن ببيت المقدس سنة ٣٠٣ هـ .(١)

وقد صرح النحاس بسماعه منه (٢) ، وبناء على ذلك تكون عودة ابن النحاس إلى مصر من بغداد سنة ثلاثمائة هـ أو اثنتين وثلاثمائة ، قبل أن يخرج النسائي من مصر إلى الرملة بفلسطين حتى يمكن أن يلتقي النحاس بالنسائي ويسمع منه .

شيوخ النحاس :

أبو جعفر النحاس واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف (٣) ، والناظر في كتبه يحس بذلك ، فهو يروي كثيراً عن شيوخه ، وهم كثر ، منهم النحوي والمحدث والفقيه ، ولسوف أكتفي بذكر أشهرهم مِمَّنْ تَأَثَّر بهم ، ولهم ذكر في كتابه " إعراب القرآن " ، وهم :

١- محمد بن الوليد بن ولاَّد المصري النحوي التميمي ، رحل إلى بغداد في طلب العلم ، وقرأ كتاب سيبويه على المبرد ، ولَمَّا عاد إلى مصر

---

(١) انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ١/١٧١ .
(٢) انظر : إعراب القرآن ١/٢٦٢ .
(٣) طبقات التحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٢٠ .

تصدر لإقرار العلم ، توفي سنة ٢٩٨ هـ [١] ، ذكره النحاس في كتبه بـ (حدثنا) أو(سمعت). [٢]

٢- أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير ، سمع المبرد وثعلبا ، رحل إلى مصر سنة ٢٨٧ هـ ، وخرج منها إلى حلب سنة ٣٠٠ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٥ هـ ، وقيل : سنة ٣١٦ . [٣] ، سمعه النحاس وروى عنه بـ (سمعت [٤] ، أو حدثنا) .

٣- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي من أصحاب المبرد توفي سنة ٣١١ هـ [٥] ، أخذ عنه النحاس وعليه قرأ كتاب سيبويه كما ذكر هو في إعراب القرآن ٣٢٨/١ وذكر فيه سماعاً كثيراً عنه . [٦]

٤- ابن كيسان أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم النحوي ، وتقدم الحديث عنه .

٥- نفطويه أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان المهلبي ، وقدسلف الحديث عنه .

---

(١) انظر ترجمته : في بغية الوعاة للسيوطى ٢٥٩/١ .
(٢) انظر : إعراب القرآن ٢٢٧/١ ، ٢٢/٢ ، ٤٦ ، ٣١٣ .
(٣) انظر ترجمته : في بغية الوعاة للسيوطى ١٦٧/٢ ، ١٦٨
(٤) انظر : إعراب القرآن ١٧٠/١ ، ١٨١ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ ، ٢٥/٣ .
(٥) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي ٤١١/١-٤١٣ .
(٦) انظر : إعراب القرآن ٢٠٣/١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ .

٦- أبو بكر أحمد بن الحسن بن العباس بن الفرج بن شقير النحوي الشُّقَيري البغدادي المتوفى سنة ٣١٧ هـ [١] ، وقد ذكر النحاس سماعه منه .[٢]

٧- ابن رستم أحمد بن محمد الطبري النحوي ، سكن بغداد وحدث بها عن نصير بن يوسف ، وهاشم بن عبد العزيز صاحب الكسائي [٣] ، ذكره النحاس بـ (حدثني) .[٤]

٨- النسائي : أحمد بن علي بن شعيب ، وقد سلف الحديث عنه .

٩- الطحاوي أحمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي المتوفى ٣٢١ هـ [٥] ، روى عنه النحاس . [٦]

١٠- بكر بن سهل الدمياطى [٧] المتوفى سنة ٢٨٩ هـ ، وقد تلقى النحاس عنه . [٨]

١١- جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبوبكر الفريابى [٩] المتوفى سنة ٣٠١ هـ وقد ذكر النحاس أنه أخذ عنه الحديث الشريف . [١٠]

---

(١) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي ٣٠٢/١

(٢) انظر : إعراب القرآن ٢٥/٣ ، ٢٥٥/٥ .

(٣) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطى ٣٨٧/١ .

(٤) انظر : إعراب القرآن ٤٣/٢ .

(٥) انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ٢٠٦/١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن ٢٤١/٢ .

(٧) انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى ١٧٨/١ .

(٨) انظر : إعراب القرآن ٨٨/٤ .

(٩) راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ١٢٧/٢ ، ١٢٨

(١٠) انظر : إعراب القرآن ٣٨١/١

١٢- محمد بن سعدان النحوي المقرئ أبو جعفر المتوفى سنة ٢٣١ هـ [١] ، أخذ عنه النحاس [٢] ، وقال عنه : " هو ثقة مأمون".[٣]

١٣- أبو عبيد القاسم بن [٤] سَلاَّم ، أخذ عنه النحاس فذكر إختياراته في القراءات كثيرًا لكنه كان يأخذ بها تارة ويرفضها تارة أخرى ، وقد ذكر النحاس أنه رجع إلى كتابين [٥] لأبي عبيد وهما : " كتاب القراءات " ، و " الغريب المصنف " .

تلاميذه :

كان أبو جعفر النحاس واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف ولقد حبب إلى الناس الأخذ عنه وانتفع بعلمه خلق كثير ، قال ابن خلكان في ترجمته : " كان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه ، فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير " . [٦]

ومن تلاميذه المبرزين :

١- خطاب بن مسلمة بن سعيد بن بُتْرَى أبو المغيرة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ، سمع من أبي جعفر النحاس وابن الورد وغيرهما بمصر . [٧]

---

(١) انظر : ترجمته في بغية الوعاة للسيوطى ١١١/١

(٢) انظر : إعراب القرآن ٤٧٣/١ ، ٦٩/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٥٥ ، ٣/٣

(٣) انظر : إعراب القرآن ٣٤١/٢

(٤) انظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطيّ ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤

(٥) انظر : إعراب القرآن ٢٠٥/٣ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١

(٦) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٠/١ .

(٧) انظر: بغية الوعاة للسيوطيّ ٥٥٣/١ ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ١٣٣/١ طبع سجل العرب .

٢- سليمان بن محمد الزهراوي له شرح الكتاب ، وله رحلة إلى المشـــرق لقي فيها أبا جعفر النحاس وأبا سعيد السيرافي وأبا القاســـم الزجـــاجي وروى عنهم . (١)

٣- عبد السلام بن السمح بن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حـــارث بـــن عبد العزيز الهواري يكنى أبا سليمان توفي سنة ٣٨٧ هـــ ، أصله من مرو ، رحل إلى المشرق وسمع بمصر من أبي جعفر النحاس ، قرأ ابن الفرضي عليه كتاب الأبيات لسيبويه تأليف النحاس ، وكتاب الكافي في النحو للنحاس وغير ذلك . (٢)

٤- عبد الكبير بن محمد بن عفر بن عبد الكبير بن عبد الأكرم بن صفوان ابن سعيد الجزري المقرئ ، توفي بمدينة الزهراء سنة ٣٦٠ هـــ ، رحل إلى مصر فسمع من أبي جعفر النحاس .(٣)

٥- فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن نُجَيْح الكرنيُّ مـــن أهل قرطبة ، يكنى أبا سعيد ، رحل إلى مصر فلقـــي ابـــن ولاَّد وابـــن النحاس وسمع منهما ، وتوفي سنة ٣٣٥ هـــ . (٤)

٦- محمد بن إسحاق بن منذر قاضي الجماعة بقرطبة بالأندلس ، قرطبـــي جليل يكنى أبا بكر ، توفي سنة ٣٦٧ هـــ ، رحل إلى مصر ، فسمع من أبي جعفر أحمد بن محمد ابن النحاس النحوي وغيره . (٥)

---

(١) انظر : بغية الوعاة للسيوطيّ ٦٠٢/١ .
(٢) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢٨٧/١ ، ٢٨٨ .
(٣) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢٩٥/١ .
(٤) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٣٥٤/١ .
(٥) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٧٧/٢ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٥٣/١ .

٧- محمد بن خراسان النحوي الصقلي أبو عبد الله مولى لبني الأغلب ، سمع من أبي جعفر النحاس مصنفاته ، وتوفي بصقلية سنة ٣٨٦ هـ .(١)

٨- محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري ، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله ، رحل إلى مصر ، ولقي بها أبا جعفر أحمد بن محمد النحاس ، فروى عنه تأليفه " إعراب القرآن " و "المعاني " و"الناسخ والمنسوخ " ، وغير ذلك ، وهو أول مَنْ أدخل هذه الكتب إلى الأندلس توفي سنة ٣٧١ هـ .(٢)

٩- محمد بن يحيى بن عبد السلام الرَّبَّاجي نسبة إلى قلعة ربَّاج ، من أهل قرطبة وأصله من جَيَّان ، رحل إلى مصر ، فسمع من أبي جعفر أحمد إبن محمد النحاس كتاب سيبويه رواية عن ابن النحاس ، وكان جيد النظر ، توفي سنة ٣٥٨ هـ . (٣)

١٠- منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن القاضي الأندلسي ، ويُقال له : البلوطي نسبة إلى محل ميلاده بالأندلس ، رحل إلى مصر ولقي أبا جعفر النحاس وسمع منه ، وتوفي سنة ٣٥٥ هـ . (٤)

---

(١) انظر : بغية الوعاة للسيوطي ٩٩/١.
(٢) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٨١/٢ ، ٨٢ .
(٣) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٦٩/٢ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٦٢/١.
(٤) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ١٤٤/٢ ، ١٤٥.

أخلاقه :

كان النحاس – رحمه الله – متواضعًا لا يتكبر أنْ يسأل الفقهاء وأهل النظر ويناقشهم عَمَّا أُشكل عليه في تصانيفه ، وكان يحضر حلقة ابن الحداد الشافعي ، وكان لابن الحداد ليلة في كل جمعة يتكلم فيها عنده في مسائل الفقه على طرائق النحو ، فكان لا يدع حضور مجلسه تلك الليلة[1] ، وكان سريع الغضب سريع الرضا والندم إذا أدرك خطأه ، فقد روى المنذر ابن سعيد البلوطي الأندلسي قائلاً : أتيت النحاس في مجلسه بمصر وألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس المجنون :

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ ∴ تَبْكِي على نَجْدٍ لعَلِّي أُعِينُهَا

قَد أَسْلَمَهَا البَاكُونَ إلاَّ حَمَامَةً ∴ مُطَوَّقَةً باتَتْ وبات قَرِينُهَا [2]

فقلتُ : باتا يفعلان ماذا ؟ فقال لي : وكيف تقول أنت يا أندلسي ؟ فقلت : فقلتُ : باتَتْ وبان قَرِينُها " ، فسكت ، قال القاضي : فما زال يستثقلني بعدها حتى منعني كتاب العين ، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته ، فلمَّا قطع بي قيل لي: أين أنت من أبي العباس بن ولاَّد ؟ فقصدته فوجدتُ رجلاً كامل العلم والأدب حسن المروءة ، وسألته الكتاب فأخرجه

---

(١) انظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ١٠٢/١ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٢٢٠ .

(٢) البيتان من بحر الطويل عروضه مقبوضة وضربه مقبوض .

إليَّ ، ثم تندم أبو جعفر النحاس حين بلغه إباحة أبي العباس نسخته لـــي ، وعاد إلى ما كنتُ أعرفه منه . (١)

وكان أبو جعفر شديد التقتير على نفسه ، وربما وهبت لـــه عمامـــة فيقطعها ثلاث عمائم ، وكان يلى شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها علـــى أهل معرفته .(٢)

ومع هذا فهو من أهل الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع يستغنى بشهرته عن الإطناب في صفته (٣) .

وفاته :

لقى أبو جعفر النحاس ربه يوم السبت لخمس خلون مـــن شـــهر ذى الحجة سنة ٣٣٨هـــ وقيل : سنة ٣٣٧ هـــ وقد أجمع المترجمون للنحاس أنه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل في أيـــام زيادتـــه يقطـــع بالعروض شيئًا من الشعر فمرَّ به رجل أحمق فسمعه يقـــول كلامًـــا غيـــر مفهوم لديه فقال : هذا الرجل ساحر يسحر النيل حتى لا يزيد ماؤه فتغلـــو الأسعار ، فجاء من خلفه ورفسه برجله فسقط في نهر النيل فلم يوقف لـــه على خبر .

---

(١) انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيديّ ص٢٢١ ، ومعجم الأدبـــاء لياقوت ٢٢٦/٤، ٢٢٧ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٣٦٣/٧ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٠/١ ، ومفتـــاح الســـعاد ومصـــباح الســـيادة فـــي موضوعات العلوم ٨٣/٢ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٢٨/٤.

(٣) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٢٦/٤.

آثاره العلمية :

كان أبو جعفر النحاس – رحمه الله – واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف ولم تكن له مشاهدة فإذا خلا بقلمه جَوَّد وأحسن ، وتصانيفه تزيد على الخمسين مصنَفًا [1] ، ولسوف أذكر بعض هذه المؤلفات لأنَّ هذا الموضوع كتب فيه كل من تحدث عن أبي جعفر النحاس [2]، وقديمًا قيل : " اُتْرُكِ المَطْرُوْقَ واُطْرِقِ المَتْرُوْكَ " .

١- إعراب القرآن الكريم ، ألفه النحاس بعد تأليف " معاني القرآن الكريم"؛ لأن في إعراب القرآن ، إحالات كثيرة على كتابه " معاني القرآن " [3] ، والكتابان يمثلان مرحلة النضج العلميّ عند النحاس فقد ضمنها ما استطاع من ألوان المعرفة في شتى العلوم .

٢- شرح أبيات سيبويه ، طبع هذا الكتاب بمطبعة نهضة مصر بالقاهرة سنة ١٩٨٥ بتحقيق د / وهبه متولى عمر سالمة .

٣- شرح القصائد التسع المشهورات ، طبع هذا الكتاب بمطبعة الحرية ببغداد في جزئين سنة ١٩٧٣ م .

٤- كتاب التفاحة في النحو ، طبع هذا الكتاب ضمن (البحوث والمحاضرات) لمؤتمر الدورة الثانية والثلاثين للمجامع العلمية سنة ١٩٦٥ م طبعه المجمع العلمى العراقي وحققه أ/ كوركيس عَوَّاد .

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٤/٢٢٨ .
(٢) انظر : مقدمة شرح أبيات سيبويه للنحاس تح د/وهبة متولي عمر سالمة ص ٢١-٢٥ .
(٣) انظر : إعراب القرآن ١/١٧١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٣٤٤ ، ٢/١٣٣

٥- معاني القرآن الكريم . (١)

٦- المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين . (٢)

٧- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة بمطبعة السعادة سنة ١٣٣٣هـ بعناية الأستاذ / محمد أمين الخانجى ثم أعيد طبعه سنة ١٣٣٨هـ .

منهج النحاس في إعراب القرآن :

حدد أبو جعفر النحاس منهجه في كتابه " إعراب القرآن " وعَيَّنَ هدفه الذى قصد إليه من تأليفه ، فقال : " هذا كتاب أذكر فيه ـ إن شاء الله ـ إعراب القرآن والقراءات التى تحتاج أَنْ يُبَيَّنَ إعرابها والعلل فيها ، ولا أخليه من اختلاف النحويين ، وما يحتاج إليه من المعاني ، وما أجازه بعضهم ومنعه بعضهم ، وزيادات في المعاني وشرح لها ، ومن الجموع واللغات ، وسوق كل لغة إلى أصحابها ، ولعله يمر الشيء غير مُشْبَعٍ فيتوهم متصفحه أن ذلك لإغفال، وإنما هو لأنَّ له موضعاً غير ذلك ، ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة في موضعها من غير إطالة ، وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب وما شاكله بعون الله وحسن توفيقه " . (٣)

---

(١) طبع هذا الكتاب بمكة المكرمة في مراكز إحياء التراث الإسلامي بتحقيق الشيخ / محمد على الصابوني .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٢٨/٤ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيْ ١٠٣/١ ، وطبقات التحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٢١ .

(٣) انظر : إعراب القرآن ١٦٥/١ .

فغرض النحاس في هذا الكتاب هو إعراب القرآن وتوضيح القراءات التى تحتاج أَنْ يُبَيَّن إعرابها والعلل فيها ثم الإشارة إلى ما اختلف فيه النحاة وما أجازه بعضهم ومنعه آخرون ، ثم إيضاح ما يحتاج إليه من المعاني وشرح لها ثم حشد طائفة من الجموع اللهجات ونسبة كل لهجة إلى أصحابها ومذهب النحاس في هذا الكتاب الإيجاز والمجىء بالنكتة في موضعها من غير إطالة ، وقصده الإعراب وما شاكله بعون الله وحسن توفيقه .

والنحاس من النحاة الذين حاولوا الجمع بين المذهبين البصري والكوفي ، فقد كان شيوخه ومصادره من المذهبين ، فثقافته الواسعة وروايته الغزيرة لأقوال علماء المذهبين جعله يقف من النحاة مواقف مستقلة في كثير من المسائل ، فكان يذكر في المسألة أقوالاً لعلماء المذهبين ثم يختار أو يفضل قولاً بصريًا أو كوفيًا أو يقبلهما جميعًا .

وإليك بعض الأمثلة : قال النحاس : " الحمد لله رفع بالابتداء على قول البصريين ، وقال الكسائي : الحمد رفع بالضمير الذي في الصفة ، والصفة اللام ، جعل اللام بمنزلة الفعل ، وقال الفراء : الحمد رفع بالمحل وهو اللام ، جعل اللام بمنزلة الاسم لأنها لا تقوم بنفسها ، والكسائي يسمي حروف الخفض صفات ، والفراء يسميها محالٌ ، والبصريون يسمونها ظروفاً " . (١)

---

(١) انظر : إعراب القرآن ١٦٩/١ .

وقال : " نعبد فعل مستقبل ، وهو مرفوع عند الخليل وسيبويه لمضارعته الأسماء ، وقال الكسائي : الفعل المسقبل مرفوع بالزوائد التي في أوله ، وقال الفراء : هو مرفوع بسلامته من الجوازم والنواصب " . (١)

وقال ــ في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ (٢) ﴾ : " يَمُدُّهُ ، وحكي يُمِدُّه على أنهما لغتان بمعنى واحد ، وحُكي التفريق بين اللغتين وأنه يُقال فيما كان يزيد في الشيء مَدَّهُ يَمُدُّهُ كما تقول : مَدَّ النيل الخليجَ ، أيْ زاد فيه ، وأمد الله ــ جَلَّ وعزَّ ــ الخليج بالنيل ، وهذا أحسن القولين ، وهو مذهب الفراء " اهـ (٣) والأمثلة على ذلك كثيرة . (٤)

موقف النحاس من البصريين :

تأثر النحاس بكتاب سيبويه تأثرًا كبيرًا فنقل كثيرًا من آرائه في كتابه " إعراب القرآن " إذ كان في أيام الطلب الأولى قد قرأه على أبي إسحاق الزجاج (٥) قراءة فهم واستيعاب ، وللنحاس كتاب (شرح أبيات سيبويه) ، وله رسالة في شرح قول سيبويه (علم ما الكلم من العربية (٦)) ، وله

---

(١) انظر : إعراب القرآن ١/١٧٣ .
(٢) سورة لقمان من الآية رقم ٢٧ .
(٣) انظر : إعراب القرآن ١/٢٨٨ .
(٤) انظر : إعراب القرآن ١/١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٤٣٤ ، ٢/٣٧٨ ، ٣/٣٢١ ، ٣٢٢ .
(٥) انظر : إعراب القرآن ١/٣٢٨ .
(٦) الرسالة ضمن مجموعة في مكتبة شهيد على باشا باستنبول بتركيا تحت رقم ٢٧٤٠ .

كتاب (شرح سيبويه [1]) فكتاب سيبويه مصدر مهم من مصادره في " إعراب القرآن " يلازمه من بدايته إلى نهايته يبسط به رأياً أو يفضله وقد ينقض به رأيا أو يؤيده ، وإلى جانب ذلك يجد المتصفح لـ (إعراب القرآن) آراء أعلام النحو واللغة والقُرَّاءِ من البصريين مبثوثة فيه مثل الخليل بن أحمد وأبو الخطاب الأخفش ، وسعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط وأبي عبيدة والجرميْ والمازنيْ والمبرد وأبي حاتم السجستانيْ وابن الأعرابيْ ومحمد بن الوليد بن وَلاَّد وأبي إسحاق الزجاج وسواهم كثيرون .

ولم يكن النحاس متعصبًا للبصريين بل كان يعرض الآراء المختلفة في المسألة الواحدة ثم يختار منها ما هو أفضل عنده بيد أنَّ النحاس خطأ قول سيبويه في بناء أيّ الموصولة التى أضيفت وحذف العائد من صدر صلتها [2] وذلك فى قول الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِياً [3] ﴾ .

واستبعد النحاس رأي الخليل بن أحمد في إعلال (يَسْتَحْيِ) من قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْي [4] ﴾ .

وكذلك خطأ رأي الخليل في قوله إنَّ " إيَّاك " في سورة الفاتحة اسم مضمر [5] وكذلك غلط بعض الآراء التى نسبها على بن سليمان الأخفش

---

(١) انظر : فهرست ابن خير ص٣١٢ طبع قومش بسرقسطه ١٩٨٣م نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

(٢) انظر : إعراب القرآن ٢٤/٣

(٣) سورة مريم من الآية رقم ٦٩

(٤) سورة البقرة من الآية رقم ٢٦ وانظر إعراب القرآن ٢٠٣/١

(٥) انظر : إعراب القرآن ١٧٣/١

الأصغر إلى المبرد [١] ، وكذلك غلط بعض آراء الزجاج – وهو أكبر شيوخه أثرًا فيه – لكن هذا لم يمنع النحاس من تفنيد بعض آرائه [٢] ، وكذلك خطأ النحاس كثيرًا من آراء الأخفش [٣] الأوسط وهو من شيوخ البصريين الكبار .

وسبب ذلك عندى أنَّ النحاس لا يقدس رأي الفرد مهما علت منزلته وسمت مكانته بل كان يحتفظ لنفسه بحرية الرأي وانطلاق الفكر لأنه لا يعرف الحجر على الآراء.

موقف النحاس من الكوفيين :

بسط النحاس أقوال الكوفيين وإصطلاحاتهم إلى جانب أقوال البصريين واصطلاحاتهم [٤] ، فكان يذكر آراء الكوفيين بجانب آراء البصريين فيقبل كلا الرأيين دون أنْ يخطى واحدًا منها[٥] وقد يستحسن رأي الكوفيين ويفند رأي البصريين [٦] ، وقد يستحسن رأي البصريين ويفند رأى الكوفيين[٧] .

---

(١) انظر : إعراب القرآن ٣٤٦/١ ، ٥٦/٣ ، ٥٧ ، ١٥٥ ، ٤٠٥/٤

(٢) انظر : إعراب القرآن ٢٢٥/١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٣٠٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٢٣/٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) انظر: إعراب القرآن١٩١/١ ،٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٥ ، ١٨٥/٢

(٤) انظر : إعراب القرآن ١٦٩/١ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢١٩

(٥) انظر : إعراب القرآن ١٦٦/١ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٦) انظر : إعراب القرآن ١/ ١٧٣ ، ٢٨٨

(٧) انظر : إعراب القرآن ١/ ١٩٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢/ ٤٢ ، ٤٣ ، ١٩٨/٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥

ولم يكن النحاس – رحمه الله – متعصبًا لأحد الفريقين ، بل كان ينعم نظره في الآراء التى يعرضها ثم يرجح الرأي الراجح لديه مِمَّا يؤكد أنه بَحَّاثَةٌ ونَقَّادٌ وجهبذ من جهابذة العربية الكبار بدليل أَنَّ النحاس خطأ كثيرًا من أقوال الكسائيِّ – مؤسس مدرسة الكوفة – في مسائل نحوية (١) وصرفية (٢)

موقف النحاس من البغداديين :

اجتمع مشايخ البصريين والكوفيين في بغداد في القرن الرابع الهجري فخفف هذا الاجتماع من حدة الخلاف بينهما وقارب كثيرًا من وجهات النظر فنشأ مذهب جديد ينهج نَهْجًا جديدًا في دراساته النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية مع بعض قواعد استنبطها البغداديون من تلقاء أنفسهم لا تمت بصلة إلى المذهبين تولدت لهم من اجتهادهم قياسًا وسماعًا (٣) ، ومن أوائل مَنْ مَثَّلَ المذهب البغدادي ابن كيسان وأبوبكر بن شقير وأبوبكر بن الخياط ، ومن هؤلاء اثنان أخذ عنهم النحاس مباشرة هما : ابن كيسان وأبو بكر بن شقير .

---

(١) انظر : إعراب القرآن ١/١٨٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٨٤ ، ٥٠٥ ، ٢/٣٢ ، ٤/١٢٩ ، ١٣٠

(٢) انظر : إعراب القرآن ١/١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٧٣ ، ٣٣٥ ، ٣٦٧

(٣) انظر : المدارس النحوية د/ شوقى ضيف ص٢٤٥ – ٢٤٨ طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٦م ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ/محمد الطنطاوي ص ١٤٤– ١٤٧طبع وادى الملوك بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤م ، والإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجى ت د/ مازن المبارك ص٧٩ طبع دار النفائس ببيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ

رواية النحاس عن ابن كيسان :

ابن كيسان [١] من أهم مشايخه من البغداديين سمعه النحاس وروى [٢] عنه ، وهو يروى سماعاته عن ابن كيسان رواية مُعْجَبٍ أحيانًا معتبرًا قوله من أقوال النحويين الحذاق[٣] ولم ينقد آراء ابن كيسان التى نقلها عنه مرة واحدة .

كذلك نقل النحاس عن أبي بكر بن شقير[٤] لكنه لم يكثر من الرواية عنه فقد نقل عنه نقلين[٥] .

---

(١) راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ١٨/١ ، ١٩ ، والأعلام للزركلي ٣٠٨/٥

(٢) انظر : إعراب القرآن ١٨٦/١ ، ٧٤/٢ ، ٤٦/٣ ، ٢١١

(٣) انظر : إعراب القرآن ٢١١/٣

(٤) راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٣٠١/١

(٥) انظر : إعراب القرآن ٢٥/٣ ، ٢٥٥/٥

موقف النحاس في إعراب القرآن
من الفراء في معاني القرآن

" معاني القرآن " لأبي زكريا الفراء أحد المصادر المهمة التى ركن إليها النحاس في تأليف كتابه " إعراب القرآن " وقد لزمه النحاس من أول كتابه إلى نهايته ، فلا تكاد آية من آيات الكتاب العزيز التى تناولها النحاس تخلو من ذكر رأي للفراء في إعراب آية أو توجيه نحويّ أو صرفيّ أو توجيه قراءة أو بيان معنى، إذ كان " معاني القرآن " للفراء بين يدى النحاس يتصفحه [1] وينهل منه ويَعُلُّ ، وكان النحاس يشير إليه باسم (المعاني[2]) .

وكان النحاس يُجِلُ الفراء ويقدره حق قدره ويراه من النحويين الحُذَّاق الموثوق بعلمهم ، والدليل على ذلك قول النحاس : "... سُمِعَ من العرب في جَمْعِ دُخَانٍ دَوَاخِنْ ، وزعم القُتَبيُّ أنه لم يَأْتِ على هذا إلاَّ دُخَانٌ وعُثَانُ .

قال أبوجعفر : وهذا القول ليس بشيء عند النحويين الحُذَّاق ، وإنَّمَا دَوَاخِنُ جمع دَاخِنَةٍ ، وهذا قول الفراء [3] نَصًا وكُلُّ مَنْ يوثق بِعِلْمِهِ ، وحكى الفراء : دَخَنَتِ النَّارُ فهي دَاخِنَةٌ إِذَا أَتَتْ بالدُّخَانِ [4] " أهـ

---

(١) انظر : إعراب القرآن ١١٣/٢ ، ٢٦٣/٣ ، ٢٨٨ ، ٤٢٩/٤

(٢) انظر : إعراب القرآن ٤٢٩/٤ ، ٢٣٣/٥

(٣) لم يتيسر لى العثور على نص الفراء هذا في كتابه (معاني القرآن) على الرغم من كثرة البحث والتحري

(٤) إعراب القرآن ١٢٧/٤

ومع ثقة النَّحاس بِعِلْمِ الفراء واعتباره من النحويين الحُذَّاق المهـرة بالعربية فَإِنَّ النحاس لا يقدس رأي الفرد مهما علـت منزلتـه فلـم يكـن النحاس يلازم الفراء في (معانى القرآن) ملازمة الرضا والاطمئنان ، بـل كان ينقل منه ويرد كثيرًا مِمَّا ينقله ، وغالب نقول النحاس مـن (معـاني القرآن للفراء) بالمعنى وقد ينقل منه بالنص لكن هذا قليل .

هذا وقد وجدت النحاس في (إعراب القرآن) يقف مواقف متعـددة من الفراء في (معاني القرآن) أوجز هذه المواقف فيما يأتى :-

١- قد يذكر النحاس رأي الفراء دون تعليق عليه ، ويفهـم مـن هـذا أَنَّ النحاس يقبل رأيه ويرضى به .

مثل قول النحاس في إعراب البسملة : " ... موضع الباء وما بعدها عند الفراء نصب بمعنى ابتدأت بسم الله الرحمن الرحيم، أو أبدأ بسـم الله الرحمن الرحيم[1] " ومثله كثير [2] .

---

(١) إعراب القرآن ١٦٦/١

(٢) انظر : إعراب القـرآن ١٦٧/١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ ، ٤١١ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٥٠٨ ، ٢٥٦/٢

٢- قد يستحسن النحاس رأي الفراء في إعراب آية مثل قول النحاس في إعراب " وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ [١] " قال " ... قال الفراء : المعنى ولتكملوا العدة فعل هذا .

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ [٢] " ، وقال النحاس : " أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ [٣] " (ما) في موضع نصب عطف على (مَا حَمَلَتْ) وفي هذا أقوال هذا أَصَحُّهَا ، وهو قول الكسائي والفراء وأحمد بن يحيى ، والنظر يُوْجِبُهُ أَنْ يعطف الشيء على ما يليه إِلاَّ أَنْ لا يصح معناه أو يدل على غيره [٤] " اهـ

٣- فَنَّدَ النحاس كثيرًا [٥] من أعاريب الفراء لبعض آي الذكر الحكيم وهذا مِمَّا يدل على أَنَّ النحاس بحاثه يستهويه الإعراب السديد الصائب ويزعجه الإعراب النحويّ الضعيف ، خُذْ مثلا قول النحاس : " روى عن الحسن وأبي رجاء أنهما قرآ ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ [٦] ﴾ قال

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١٨٥

(٢) إعراب القرآن ٢٨٨/١ ، وقد نقل النحاس رأي الفراء بمعناه لا بمبناه ، انظر : معاني القرآن ١١٣/١

(٣) سورة الأنعام من الآية رقم ١٤٦

(٤) إعراب القرآن ١٠٤/٢ ، وقد نقل النحاس رأي الفراء بمعناه لا بمبناه ، انظر : معني القرآن ٣٦٣/١

(٥) انظر : إعراب القرآن ٢٢٥/١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣١٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٨٦ ، ٥٠٩ ، ٦٦/٢ ، ١١٤ ، ١٣٥ ، ١٥٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤٠٧ ، ٢٦٣/٣ ، ٢٦٤

(٦) سورة البلد الآية رقم ١٤ ، وقدسها محقق إعراب القرآن في رسم الآية على هذه القراءة فقد رسمها " وَأَطْعَمَ فى يَوْمٍ ذَا مَسْغَبَةٍ " وهذا الرسم خطأ والصواب ما كتبته بأعلى الصفحة والتصويب من =

الفراء : وإنْ كان لم يذكر من قرأ " ذَاْ مَسْغَبَةٍ " هو صـفة ليتـيم ، أي يتيما ذَا مَسْغَبَةٍ ، قال أبوجعفر : والغلط في هذا بَيِّنٌ جِدًّا لأنه لا يجـوز أَنْ تَتَقَدَّم الصفةَ قبل الموصوف ، ولستُ أدْري كيف وقع هذا له حتـى ذكره في كتاب: (المعاني[1]) ؟ ولكن يكـون (ذَاْ مَسْـغَبَةٍ) مَنْصـوبًا بِأَطْعَمَ ويتيما بَدَلاً منه[2] "اهـ

٤- أحيانًا يستحسن النحاس رأي الفراء في توجيـه قـراءة مثـل قـول النحاس: " قرأ عيسى بن عمر[3] ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّـارِقَةَ [4] ﴾ نَصْـبًا ، وهو اختيار سيبويه ، قال : إلاَّ أنَّ العامة أَبَتْ إلا الرَّفْع[5] ، يريد بالعامة الجماعة ، ونصبه بإضمار فعل ، أيْ اقطعُوْا السَّارِقَ والسَّارِقَةَ ، إنَّمَـا اختار النَّصْبَ ، لأَنَّ الأمر بالفعل أولى ، وقد خولف سيبويه في هـذا ، فزعم الفراء[6] أَنَّ الرفع أولى لأنه ليس يُقْصَدُ بِهِ إلـى سَـارِقٍ بعينـه فَنَصبَ ، وإنَّما المعنى : كُلُّ مَنْ سَرَقَ فاقطعوا يَدَهُ ، وهذا قـول حسـن غير مدفوع [7] " اهـ

=المحتسب لابن جنى ٣٦٢/٢ ، والبحر المحيط ٤٧٦/٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١٦٠/٨

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦٥/٣

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٣٢/٥ ، ٢٣٣

(٣) كذلك قرأ ابن أبي عبلة أيضًا وهذه قراءة شاذة انظر : مختصر في شواذ القـراءات لابـن خالويه ص٣٨ والبحر المحيط ٤٧٦/٣

(٤) سورة المائدة من الآية رقم ٣٨

(٥) انظر : الكتاب لسيبويه ١٤٤/١ ت / هارون

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣٠٦/١ وقد نقل النحاس قول الفراء بمعناه لا بمبناه

(٧) إعراب القرآن ١٩/٢

والأمثلة على استحسان رأي الفراء في توجيهه لقراءة كثيرة وسأكتفي بذكر أرقام الصفحات[1] جمعًا بين الإفادة والإيجاز .

٥- قد يخطىء النحاس رأي الفراء في توجيه قراءة مثل قول النحاس : " ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ [2] ﴾ نصب بِأَنْ ، قال الفراء[3] : وفى إحدى القراءتين (وَأَنْ اتْلُ القُرْآنَ) وزعم أنه في موضع جزم بالأمر فلذلك حذفت منه الواو ، قال أبو جعفر ولا نعرفُ أَحَدًا قرأ بهذه القراءة ، وهى مخالفة لجميع المصاحف ، وقوله : فى موضع جزم خطأ عند البصريين لأنَّهُ لا يكون جزم بلا جازم وتقديره اللام خطأ لم يكن بُدٌّ من المجىء بحرف المضارعة فكيف تُضْمَرُ اللام ، وهي إذا جيْ بها كان الكلام على غير ذلك ، وحروف الجزم لا تُضْمَرُ ، وهذا الفعل لا يجوز أَنْ يكون معربًا لأنه ليس بالمضارع ، قال سيبويه[4] : أَسْكَنُوْهَا لأنها لا يوصف بها ولا تقع موقع المضارعة[5] " اهـ

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس٢/٣٤٢ ، ٣٤٣ ،٣٥٨، ٣/٢٨٨ ،٣٢١ ، ٣٢٢ ،٤/١٠٧ ، ٤٦٨ ، ٥/٤

(٢) سورة النمل من الآية رقم ٩٢

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٣٠١ ، ٣٠٢

(٤) انظر الكتاب١/٤ طبع بولاق

(٥) إعراب القرآن ٣/٢٢٥

أقول : هذه القراءة عرفها الفراء وإنْ كان لم ينسبها فقد قـرأ " وَأَنْ اتْلُ " بغير واو عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب – رضـى الله عنهمـا – وهذه قراءة شاذة (١)

والأمثلة كثيرة (٢) على تخطئة النحاس لرأي الفـراء فـي توجيـه قراءة.

٦- قد يستحسن النحاس رأي الفراء في مسألة لغوية مثل قول النحـاس : "عن ابن عباس والضَّحَاك : ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُـخْرِياً (٣)﴾ قـال العبيد ، قال الفراء(٤) : يقال سُخْرِيٌّ وسَخْرِيٌّ بمعنى واحد ههنا وفـي " قَدْ أَفْلَحَ (٥) ".

وفى " صاد(٦) " ، قال أبوجعفر : والأمر كما قال الفراء عنـد جميـع أهل اللغة إلاَّ شَيْئًا ذكره أبو عمرو(٧) " اهـ والأمثلة على ذلك كثيرة (٨)

---

(١) انظر : مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص١١٢ ، والبحر المحـيط ١٠٢/٧ وقـد وجه أبوحيان في البحر المحيط (١٠٢/٧) هذه القراءة فقال : " قرأ عبد الله (وَأَنْ اتْلُ) بغير واو ، أمرا من تلا فجاز أنْ تكون أنْ مصدرية وصلت بالأمر ، وجاز أنْ تكون مُفَسِّرَة على إضمار وأمِرْتُ أنْ اتْلُ أيْ اتْلُ " اهـ

(٢) انظر : إعراب القـرآن ١٥٢/٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٣٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٦٧/٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٤٣٨ ، ٢٣١/٥ ، ٢٣٢

(٣) سورة الزخرف من الآية رقم ٣٢

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣١/٣ ، وقد نقل النحاس قول الفراء بالنص مع تصرف يسير.

(٥) سورة المؤمنون من الآية رقم ١٠١

(٦) سورة ص من الآية رقم ٦٣

(٧) إعراب القرآن ١٠٧/٤

(٨) انظر : إعراب القرآن ٢٨٨/٣ ، ١٢٧/٤ ، ٤٦٨

٧- أحياناً يخطىء النحاس رأي الفراء في مسائل من علم التصريف مثل قول النحاس : " قرأ مجاهد والزهري وأيوب السختياني﴿ وَمَا تَذْخِرُونَ [١] ﴾ بالذال معجمة مخففًا ، قال الفراء [٢] : أصلها الذال يعنى تَذْخَرُونَ مِنْ ذَخَرْتُ فالأصل: تَذْتَخِرُوْنَ فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء فأدغموا وكرهوا أنْ تذهب التاء في الذال فيذهب معنى الافتعال ، فجاءوا بحرف عدل بينهما وهو الدال فقالوا : تَدَّخِرُوْنَ ، قال أبو جعفر : هذا القول غَلَطٌ بَيِّنٌ ، لأَنَّهُمْ لو أدغموا على ما قال لوجب أنْ يدغموا الذال فى التاء وكذا باب الإدغام ، أَنْ يُدْغَمَ الأَوَّلُ في الثاني فكيف تَذْهَبُ التاء[٣] ؟ " اهـ

والأمثلة على تخطئة النحاس لآراء الفراء في مسائل تصريفية كثيرة وسأكتفى بذكر أرقام بعض الصفحات[٤] للجمع بين الإفادة والإيجاز .

٨- أحياناً يخطىء النحاس رأي الفراء في معنى آية ، وهذا يدل على تمكنه من علم التفسير وجودة فهمه لآي الكتاب العزيز .

مثل قول النحاس : " ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ [٥]﴾ نصب بوقوع الفعل عليها ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ بدل ﴿ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٤٩

(٢) انظر : معاني القرآن ٢١٥/١ ، ٢١٦ ، وقد نقل النحاس قول الفراء بمعناه لا بمبناه

(٣) إعراب القرآن ٣٧٩/١

(٤) انظر : إعراب القرآن ٢٧٣/١ ، ٣٥٤ ، ١٣١/٢ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٠ ، ١٠٥/٤ .

(٥) سورة الأعراف من الآية رقم ٣٣ .

قال الفراء : الإثم مَا دون الحدِّ ، والبغي الاستطالة على الناس[1] ، قال أبو جعفر : فَأَمَّا أَنْ يكون الإثم الخمر فلا يعرف ذلك ، وتحريم الخمر موجود نَصًّا في كتاب الله ﷻ وهو قوله : ﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ [2]﴾ وحقيقة الإثم أنه جميع المعاصي ، كما قال :

إِنِّيْ وَجَدْتُ الأَمْرَ أَرْشَدُهُ ∴ تَقْوَى الإِلَهِ وَشَرُّهُ الإِثْمُ

والبغي التجاوز في الظلم[3] " اهـ

والأمثلة كثيرة [4] ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

---

(١)انظر : معاني القرآن للفراء ٣٧٨/١ ، وقد نقل النحاس قول الفراء بالنص .

(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٩٠ .

(٣) إعراب القرآن ١٢٣/٢ ، ١٢٤ .

(٤) انظر : إعراب القرآن ٣٤٧/١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ١١٣/٢ ، ٣٤٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٣٤ ، ٤٢٩/٤ ٦٧/٥ ، ٦٨

المبحث الأول

في الأسماء وفيه ست تعقيبات

التعقيب الأول : تعقيب النحاس على الفراء في إعراب (أمة) في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ [1] ﴾ .

التعقيب الثاني : تعقيب النحاس على الفراء في متعلق الجار والمجرور في قول الله ﷻ :﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ [2] ﴾ .

التعقيب الثالث : تعقيب النحاس على الفراء في (ما) في قول الله ﷻ : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ [3] ﴾ .

التعقيب الرابع : تعقيب النحاس على الفراء في توجيه نصب (خَيْرًا) في قول الله ﷻ : ﴿ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ [4]﴾ .

التعقيب الخامس : تعقيب النحاس على الفراء في موضع المصدر المؤول من الإعراب في قول الله ﷻ : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا [5]﴾ .

التعقيب السادس : تعقيب النحاس على الفراء في تجويزه بناء الظرف المضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المضارعية على الفتح .

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٣ .
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ١١ .
(٣) سورة النساء من الآية رقم ٣ .
(٤) سورة النساء من الآية رقم ١٧١ .
(٥) سورة النساء من الآية رقم ١٧٦ .

التعقيب الأول

تعقيب النحاس على الفراء في إعراب (أُمَّةٌ)
في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾

للنحاة آراء في إعراب " أُمَّةٌ " في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ [1]﴾ حكاها النحاس فقال : " (لَيْسُوا سَوَاءً) تَمَّ الكلام (مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ) ابتداءٌ ، إلاَّ أَنَّ للفراء فيه قولا زعم أَنَّهُ يرفَعُ أُمَّةً بِسَواء وتقديره ليس تستوى أمة من أهل الكتاب قائمة يتلون آيات الله وأمة كافرة ، قال أبوجعفر : هذا القول خطأ من جهات :

إحداها [2] : أَنَّهُ يَرْفَعُ أُمَّةٌ بِسَواء فلا يعود على اسم ليس شيء، ويرفع بما ليس جَارِيًا على الفعل ، ويضمر ما لا يحتاج إليه لأنه قد تَقَدَّمَ ذكر الكافرين فليس لإضمار هذا وجه .

وقال أبو عبيدة : هذا مثل قولهم : أَكَلُونِي البَرَاغِيْثُ ، وهذا غلط لأنه قد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَأَكَلُونِي البَرَاغِيْثُ لم يَتَقَدَّمْ لَهُنَّ ذكر ، قال ابن عباس : " مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ " مَنْ آمَنَ مع النبى ﷺ .

قال الأخفش : التقدير : من أهل الكتاب ذُوْ أُمَّةٍ أَيْ ذُوْ طريقة حَسَنَةٍ، وأنشد :

وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُوْ أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ [3] " اهـ

*** *** ***

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١١٣ .
(٢) لم يذكر النحاس باقي الجهات .
(٣) إعراب القرآن ١/٤٠١ .

للنحاة آراء في إعراب أمة في الآية الكريمة وهى :

الرأي الأول : يرى النحاس أنَّ الوقف على سواء في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ تام ويسمى وقف التمام لأنَّ إخبار الله ﷻ بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم قد تم عند قوله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ أيْ ليس هؤلاء سَوَاءً المؤمنون منهم والكافرون(١) ، ولم يعرب النحاس الآية .

وإعرابها : لَيْسُوا : لَيْسَ : فعل مَاضٍ ناقص ناسخ وواو الجماعة : اسم ليس ضمير مبني على السكون في محل رفع ، والواو تعود على أهل الكتاب المتقدم ذكرهم في قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ (٢) ﴾ سَوَاءً : خبر ليس منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والمعنى : ليس أهل الكتاب مُسْتَوِيْنَ بل منهم مَنْ أمَنَ بكتابه وبالقرآن مِمَّنْ أدْرَكَ شريعة الإسلام ، أو كان على استقامة فمات قبل أنْ يدركها ومنهم الفاسقون لقوله ﷻ : ﴿ مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ فانتفى اِستِوَاؤُهُمْ (٣) وَسَوَاءً في الأصل مصدر فلذلك وُحِّدَ ، لأنَّ المصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع(٤) ، وجملة "لَيْسُوا سَوَاءً " من ليس واسمها وخبرها لا محل لها من الإعراب ؛ لأنَّهَا جملة مستأنفة سيقت تمهيداً وتوطئة لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب

---

(١) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ٤/٣٤ ، ٣٥ .
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٠ .
(٣) انظر : البحر المحيط ٣/٣٣ ، والفتوحات الإلهية للجمل ١/٣٤٤ .
(٤) انظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية ١/١٩٢ .

وتذكيرًا [1] لقوله ﷻ : ﴿ مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ : مِنْ أَهْلِ : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، أهل مضاف والكتاب مضاف إليه ، أُمَّةٌ : مبتدأ مُؤَخَّرٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، قائمة : نعت لأمة مرفوع وعلامة رفعة الضمة الظاهرة ، والجملة من المبتدإ والخبر لا محل لها من الإعراب ، لأنها جملة مستأنفة لبيان[2] قوله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ ومزيلة لما فيها من الإبهام ووضع أهل الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين وللإيذان بأَنَّ تلك الأمة مِمَّنْ أوتي نصيبا وَافِرًا من الكتاب لاَ مِنْ أَرَاذِلهمْ [3].

وقيل : وضع الاسم الظاهر " أهل الكتاب " موضع الضمير العائد إليهم زيادة في تَشْريفهم والاعتناء بهم[4] .

الرأي الثاني : قال الفراء : " قوله : "لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ " ذكر أمة ولم يذكر بعدها أخرى والكلام مَبْنِيٌّ على أخرى يراد لأَنَّ سَوَاءً لابُدَّ لها من اثنين فما زاد ، ورفع الأمة على وجهين[5] : أحدهما: أَنَّكَ تَكْرُهُ على سَوَاءٍ كَأَنَّكَ قُلْتَ : لا تستوى أمة صالحة وأخرى

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد ابن محمد العمادى ٢/٧٣ نشر دار إحياء التراث العربى ببيروت .

(٢) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ ١/٢١١ طبع دار المعرفة ببيروت لبنان .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٢/٧٣ .

(٤) انظر : روح المعاني للألوسيّ ٤/٣٣ .

(٥) لم يذكر الفراء الوجه الثانى .

كافرة منها أُمَّةٌ كذا وأُمَّةٌ كذا ، وقد يستجيز العرب إضمار أحد الشـــيئين إذا كان في الكلام دليل عليه ، قال الشاعر :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا القَلْبَ إِنِّي لأَمْرِهَا ∴ سَمِيْعٌ فَمَا أَدْرِيْ أَرُشْدٌ طِلاَبُهَا(١)

ولم يقل أم غَيٌّ ، ولا : أم لا ، لأَنَّ الكلام معروف المعنى ، وقال الآخر:

أَرَاكَ فَـــلاَ أَدْرِيْ أَهَـــمٌّ هَمَمْتُـــهُ ∴ وَذَو الهَمِّ قِدْمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ(٢)

وقال الآخر :

وَمَا أَدْرِيْ إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًـــا ∴ أُرِيْدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيْنِـــيْ (٣)

أَلَخَيْرُ الـــذي أَنَـــا أَبْتَغِيْـــهِ أَمِ الشَرُّ الَّـــذِيْ لاَ يَـــأْتَلِيْنِيْ

ومنه قول الله ﷻ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً (٤)﴾ ولم يذكر الذى هو ضِدُّه ؛ لأَنَّ قوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (٥)﴾ " دليل على ما أضمر من ذلك (٦) " اهـ

*** *** ***

---

(١) انظر الشاهد في شرح أبيات مغنى اللبيب للبغدادي ٢١/١ – ٢٤ ، والبيت من بحر الطويل.

(٢) أي أَهَمّ هَمَمْتُهُ أم غيره فحذف للدلالة وهو كثير . انظر : الدر المصون في علـــوم الكتـــاب المكنون للسمين الحلبي ١٨٩/٢ ، والبيت من بحر الطويل .

(٣) انظر الشاهد في خزانة الأدب للبغداي ٤٣٠/٤ ، والبيتان من بحر الوافر .

(٤) سورة الزمر من الآية رقم ٩ .

(٥) سورة الزمر من الآية رقم ٩ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٣٠/١ ، ٢٣١ .

فالفراء يرى : أنَّ الوقف لا يتم على (سواء) لأنه جعل الواو اسم ليس وسواءً خبرها كما قال الجمهور .

لكن الفراء أعرب " أُمَّةٌ " مرتفعة بـ(سَوَاءً) ارتفاع الفاعل ، أيْ ليس أهل الكتاب مستويًا منهم أُمَّةٌ قائمة موصوفة بما ذكر وأمة كافرة فحذفت الجملة المعادلة لدلالة القسم الأول عليها ، لأَنَّ سَوَاءً لابُدَّ لها من اثنين فما زاد وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه ، كقول الشاعر:

عَصَيْتُ إِلَيْهَا القَلْبَ إِنِّي لأَمْرِهَا ∴ سَمِيْعٌ فَمَا أَدْرِيْ أَرُشْدٌ طِلاَبُهَا (١)

أيْ أم غَيٌّ فحذف (الغَيُّ) لدلالة ضِدِّه عليه ، لأَنَّ الكلام معروف المعنى ومثله قول الآخر :

أَرَاكَ فَلاَ أَدْرِيْ أَهَمٌّ هَمَمْتُهُ ∴ وَذَو الهَمِّ قِدْمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ (٢)

أيْ أَهَمّ هممته أم غَيْرُهُ فحذف لدلالة معنى الكلام عليه ، ومثله قول الشاعر :

وَمَا أَدْرِيْ إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا ∴ أُرِيْدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيْنِيْ

أَالخَيْرُ(٣) الذي أَنَا أَبْتَغِيْهِ ∴ أَمِ الشَرُّ الَّذِيْ لاَ يَأْتَلِيْنِيْ

---

(١) البيت من بحر الطويل .

(٢) البيت من بحر الطويل .

(٣) الهمزة الثانية من (أَالْخَيْرُ) همزة وصل دخلت عليها همزة الاستفهام ، وكان القياس أنْ يستغنى عنها لكنها لم تحذف وخففت بتسهيلها بَيْنَ بَيْنَ ؛ إذ لولا ذلك لم يتزن البيت ولا سبيل إلى دعوى تحقيقها لأنه لا قائل به ، وهمزة بَيْنَ بَيْنَ عند البصريين متحركة =

قال الفرّاء : " كَنَّى عن الشرِّ وإنَّمَا ذكر الخير وحده ، وذلك أنَّ الشرِّ يُذْكَرُ مع الخير[1] " اهـ

وكأنه يريد أنَّ التقدير : أُرِيْدُ الخَيْرَ لا الشرِّ[2]

*** *** ***

وقد عقب النحاس على إعراب الفراء فقال : " قال أبـوجعفر : هـذا القول خطأ من جهات [3] إحداها : أنه يرفع أمة بِسَوَاءٍ فلا يعود على اسـم ليس شيء ، ويرفع بما ليس جاريا على الفعل ، ويضمر ما لا يحتاج إليـه لأنه قد تقدم ذكر الكافرين فليس لإضمار هذا وجه[4] " اهـ

فالنحاس عَقَّبَ على رأي الفراء قائلاً : إنَّهُ خطأ لأسباب هى :

(أ) أنه يرفع " أمة " بسواء وهذا الإعراب غير صحيح لأنه يؤدى إلى ألاَّ يعود من خبر ليس إلى اسمها شيء[5] .

(ب) توجيه الفراء أنَّ كلمة " أمة " مرفوعة على الفاعلية بِسَوَاءٍ خطـأ ، لأنَّ سواء اسم مصدر غير جارٍ على فعله ، لأنَّ حروفه نقصت عـن

=بحركة ضعيفة ينحى بها نحو السكون ، ولذلك لا تقع إلاَّ حيث يقع الساكن غالبا ولا تقـع في أول الكلام بحال . انظر: خزانة الأدب للبغدادي ٤/٤٣٠ .

(١) معاني القرآن ٢/٧٣ .

(٢) انظر : خزانة الأدب للبغدادي ٤/٤٣٠ .

(٣) ذكر النحاس جهة واحدة ولم يذكر باقي الجهات .

(٤) إعراب القرآن ١/٤٠١

(٥) انظر : مشكل إعراب القرآن ١/١٧٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٢١٥ .

حروف فعله[1] ، واسم المصدر لا يعمل ولا يجرى مجرى المصدر[2] .

(ج) أضمر الفراء ما لا يحتاج إليه لأَنَّهُ قد تَقَدَّمَ ذكر الكافرين في أول هذه القصة فسياق الآية ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ لا يدل على أنها جاءت لتبيِّنَ أَنَّ أهل الكتاب قسمان ، وَإِنَّمَا سياقها يُبَيِّنُ أَنَّ منهم طائفة صالحة وهذا القسم علم نَصًّا ، ويفهم القسم الثانى الطالح باللزوم ، لأَنَّ الآية ما جاءت لبيانه، فقول الفراء : "... ورفع الأمة على وجهين ؛ أحدهما:أَنَّكَ تَكُرُّه على سواء كأنك قلت : لا تستوى أمة صالحة وأخرى كافرة منها أُمَّةٌ كذا وأُمَّةٌ كذا " اهـ خطأ لأنه لا حاجة إلى إضمار " وأخرى كافرة " لأنه قد تقدم ذكر الكافرين فليس لإضمار هذا وجه .

*** *** ***

هذا ويرى أبو البركات الأنباريّ والعكبريّ وغيرهما : أَنَّ رأي الفراء في إعراب الآية ضعيف ، لأَنَّ قوله ﷻ : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ منقطع مِمَّا قبله ولا يصح أن تكون أُمَّةٌ مرفوعة بسواء ، لأَنَّهُ يؤدى إلى ألاَّ يعود من خبر ليس إلى اسمها شيء وذلك لا يجوز[3] .

---

(١) فعله استوى تقول : استوى الشيئان وتَسَاوَيَا تَمَاثَلا والمصدر منه استواء واسم المصدر سَوَاءَ. انظر : لسان العرب مادة (س و ا) ٣/٢١٦١ .

(٢) هذا مذهب البصريين وذهب الكوفيون والبغداديون إلى إجراء اسم المصدر مجرى المصدر وإعماله عمله انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسيّ ٣/١٨٠ وشرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري ص٤١٢ ، وهمع الهوامع للسيوطى ٢/٩٥ .

(٣) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ١/٢١٥ ، وإملاء مَا مَنَّ بِهِ الرحمن للعكبري ١/٨١ ، ٨٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١/١٧٠ .

واستضعف أبو حيان الأندلسيّ إعراب الفراء للآية فقال : " ويضعف قول الفراء من حيث الحذف ومن حيث وضع الظاهر موضع المضمر إذْ التقدير : ليس أهل الكتاب مستويا منهم أُمَّةٌ قائمة كذا وأُمَّةٌ كافرة[1] " اهـ

الرأي الثالث : يرى أبو عبيدة معمر بن المثنى : أَنَّ الواو في" لَيْسُوْا " حرف علامة جمع لا ضمير ، وأمة اسم ليس مؤخر ، وقائمة صفة لأمة ، وسَوَاءً خبر ليس مقدم ، كما قالوا : أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ .

قال أبو عبيدة : " لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ " العرب تُجَوِّزُ في كلامهم مثل هذا أَنْ يقولوا: أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ، قال أبوعبيدة:سمعتها من أبي عمرو الهذليّ في منطقه ، وكان وجه الكلام أَنْ يقال : أَكَلَنِيْ البَرَاغِيْثُ ، وفي القرآن: ﴿ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ [2]﴾ وقد يجوز أَنْ يجعله كلامين، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثم قلت: أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ، ومعنى قائمة مستقيمة[3] "اهـ

*** *** ***

(١) البحر المحيط ٣/٣٣ ، ٣٤ .
(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٧١ .
(٣) مجاز القرآن صنعه أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي علق عليه أ / محمد فؤاد سزكين ١/١٠١ ، ١٠٢ طبع مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

عَقَّبَ النحاس على قول أبي عبيدة قائلا : " قال أبو عبيدة : هذا مثل قولهم: أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ ، وهذا غلط لأنَّ أهل الكتاب قد تقدم ذكرهم وأَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ لم يتقدم لهنَّ ذكر(١) " ا هـ .

وهذا التعقيب نقله النحاس عن شيخه أبي إسحاق الزجاج بمعناه ، وإليك نص تعقيب الزجاج : " قال أبو عبيدة : (لَيْسُوا سَوَاءً) جمع ليس ، وهو متقدم كما قال القائل : أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ ، وكما قال (عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنهُمْ) وهذا ليس كما قال لأَنَّ ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله ﷻ أَنَّهُمْ غير متساوين فقال : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ثم أنبأ بافتراقهم فقال﴿ مِّنْ أَهْلِ لكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ(٢) ﴾ " ا هـ .

فحوى تعقيب الزجاج ثم النحاس على رأي أبي عبيدة أَنَّ الواو في قول الله ﷻ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً﴾ لا يصح أن تكون حرفًا دالاً على الجمع ، لأنه لم يأت بعدها جمع مرفوع يعرب اسما لليس ، بل جاء بعدها لفظ " أمة " وهو اسم مفرد ، فقول أبي عبيدة : إِنَّ الواو في " لَيْسُوْا " حرف علامة المُذَّكَّرِيْنَ ، مع أنه لم يأتِ بعد واو الجمع جمع مرفوع يعرب اسما لِـ(لِيْسَ) غلط ، ولم يقل بهذا القول أحد غيره (٣) .

وأيضًا جعل الواو في الآية الكريمة نظيرة الواو في قول بعض العرب: أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ(٤) ليس بصحيح ، لأَنَّ واو الجمع في المثال جاء

---

(١) إعراب القرآن ٤٠١/١ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥٨/١ .
(٣) انظر : خزانة الأدب للبغداديّ ٣٨/٤
(٤) في هذا القول شذوذ من وجهين : أحدهما : إلحاق ضمير الجمع بالفعل المتقدم والواجب توحيده وإلحاق واو الجماعة بالفعل المتقدم ضعيف ، وسوغه قياسه على التأنيث حيث =

بعدها جمع مرفوع وهو البراغيث فيجوز على لغة طيء أو أزدشنوءة أنْ تكون الواو في أكلوني علامة جمع والبراغيث فاعل ، أمَّا الواو في قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ فلا يصح أنْ تكون علامة جمع للأسباب الآتية :

١- لم يأتِ بعد الواو في " لَيْسُوا " جمع مرفوع ، بل جاء بعدها اسم مفرد مرفوع وهو لفظ أمة .

٢- واو الجمع في " لَيْسُوا سَوَاءً " تعود على أهل الكتاب المتقدم ذكرهم في قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ (١) ﴾ ولم يتقدم للبراغيث ذكر في قولهم : " أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ ".

فليست الآية كالمثال البتة ، لأَنَّ في (لَيْسُوْا) ضمير جماعة الذكور وقد تقدم مفسِّرُها وهو " أهل الكتاب " لذلك فواو الجماعة اسم ، (ليس) ضمير مبني على السكون في محل رفع ، وسَوَاءً خبرها منصوب ، والواو في أَكَلُونِيْ البَرَاغِيْثُ يجوز أَنْ تكون علامة جمع والبراغيث فاعل لأنه لم يتقدم على الواو في " أكلونى " ما يفسِّرُها فلم يتقدم للبراغيث ذكر .

=جاز إلحاق العلامة الدالة على تأنيث الفاعل بالفعل ، ثانيهما : أنَّ الضمير اللاتق بالعود على البراغيث هو النون لا الواو لأَنَّ الواو للعقلاء سواء أكانت ضميرًا أو علامة جمع ، فلو قيل : أكلني البراغيثُ كان جَيِّدًا وأمَّا لو قيل : أكلتنيْ البراغيثُ لم يكن فيه شذوذ لأنه لا يجوز إسناد الفعل إلى المجموع في كل تقاديره بالتاء إلاَّ جمع المذكر السالم .
انظر : جواهر الأدب ص١٧٥ ، ١٧٦ وشرح ملحة الإعراب للحريرى ت د/ أحمد محمد قاسم ص١١٢ طبع عبير الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٠ .

٣- لا يصح حمل الآية الكريمة على لهجة أكلوني البراغيث ، لأنها لهجة قليلة[١] والعرب على خلافها فلا يحمل عليها ، مع ما في هذا الحمل من مخالفة لظاهر[٢] الآية الكريمة .

هذا وقد زاد الزجاج في تعقيبه على أبي عبيدة أنَّ الكلام في الآية الكريمة جملتان وليس جملة واحدة كما فَهِمَ أبو عبيدة ؛ لأَنَّ أهل الكتاب قد تقدم ذكرهم فأخبر الله ﷻ أنهم غير متساوين فقال : ﴿ لَيْسُوْا سَوَاءً ﴾ ثم أنبأ بافتراقهم فقال﴿ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ[٣] ﴾ .

وأقول : هذه الزيادة في تعقيب الزجاج لا محل لها لأَنَّ أبَا عبيدة جَوَّزَ أَنْ يكون الكلام في الآية الكريمة جملتان فقال:" وقد يجوز أَنْ يجعله كلامين؛ فكأَنَّكَ قُلْتَ : لَيْسُوْا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ ، ثم قلت : أُمَّةٌ قَائِمَةٌ[٤]"اهـ .

لَكِنَّ عبارة أبي عبيدة قاصرة وعبارة الزجاج أوضح وأجلى .

وقد استضعف أبو البقاء العكبري إعراب أبي عبيدة للآية الكريمة فَعَقَّبَ عليه قَائِلاً : " هذا ضعيف ، إِذْ ليس الغرض بيان تفاوت الأمة القائمة التالية لآيات الله بل الغرض أَنَّ من أهل الكتاب مُؤْمِنًا وكَافِرًا [٥] " ا هـ .

---

(١) انظر : الكتاب ٢٣٦/١ طبع بولاق .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٤/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥٨/١ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ١٠١/١ ، ١٠٢ .

(٥) إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبري ٨٢/١

الرأي الرابع : يرى الأخفش أَنَّ " أُمَّةٌ " فاعل بالجار والمجرور" مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ " والكلام على حذف مضاف والتقدير : ذُوْ أُمَّةٍ[1] ، أَيْ ذُوْ طريقة حسنة والأُمَّةُ الطريقة مِنْ أَمَمْتُ الشيء إذا قصدته ، والمعنى – والله أعلم – من أهل الكتاب أمة قائمة ، أي ذُوُوْ طريقة حسنة ، قال النابغة الذُّبْيَانِيْ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ∴ وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ[2]

أى هل يَأْثَمَنْ ذُو طريقة من طرائق الدين وهو طائع [3] ؟ وتعقب قول الأخفش بأنه عدول عن الظاهر من غير دليل [4] .

والرأي الراجح في إعراب الآية الكريمة هو رأي النحاس .

---

(١) في معاني القرآن للأخفش ٤١٩/١ : " يريد أهل أُمَّةٍ ، لأَنَّ الأُمَّةَ الطَّرِيقَةُ ، والإِمَّةُ أيضا لُغَةٌ في الأُمَّةِ " وهى الطريقة والدين . انظر : لسان العرب مادة (أ م م) ١٣٣/١ .

(٢) البيت من بحر الطويل راجع ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم الأستاذ / عباس عبد الستار ص٥٥ طبع دار الكتب العلمية ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، وخزانة الأدب ٤٣٥/١ ، ولسان العرب مادة (أ م م) ١٣٣/١ ، ١٣٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٥٨/١ .

(٤) انظر : روح المعاني للألوسيّ ٣٣/٤ .

التعقيب الثاني

تعقيب النحاس على الفراء في متعلق الجار والمجرور في قول الله ﷻ :

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ [1]﴾

قال أبو جعفر النحاس : ﴿ كَدَأْبِ ءال فرْعَوْنَ [2] ﴾ ... زعم الفراء أَنَّ المعنى كَفَرتِ العَرَبَّ كُفْرًا كَكُفْرِ آلِ فِرْعَوْنَ ، قال أبو جعفر : لا يجوز أَنْ تكون الكاف متعلقةً بِكَفَرُوْا ؛ لأَنَّ كَفَرُوْا داخل في الصلة وكَدَأْبِ خارج منها، قال أبوحاتم : وسمعت يعقوب يذكر (كَدَأْبِ) بفتح الهمزة ، وقال لى وأنا غُلَيِّمٌ : عَلَى أيِّ شىء يجوز كَدَأْبِ فَقُلْتُ : أَظُنُّهُ مِنْ دَئِبَ يَدْأَبُ دَأْبًا فَقَبِلَ ذلك مِنِّيْ وتَعَجَّبَ من جودة تقديرى على صغَرِيْ ، ولا أدرى أيُقَالُ ذلك أم لا ؟ قال أبو جعفر هذا القول خَطَأٌ لا يقال البَتَّةَ : دَئِبَ وإِنَّمَا يُقَالُ : دَأَبَ يَدْأَبُ دُؤُوْبًا وَدَأْبًا ، هكذا حكى النحويون منهم الفراء ، حكى في " كتاب المصادر[3] " كما قال :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ∴ وَجَارَاتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ [4]

فَأَمَّا الدَّأَبُ فَإِنَّهُ يجوز كما يقال : شَعْرٌ وشَعَرٌ ، ونَهْرٌ ونَهَرٌ لأَنَّ فيه حرفًا من حروف الحَلْقِ[5] " ا هـ .

*** *** ***

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١ .

(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ١١ .

(٣) كتاب (المصادر في القرآن) للفراء مفقود . انظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة د / أحمد مكى الأنصاري ص١٩٩ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٩٦٤م

(٤) البيت من بحر الطويل .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

في متعلق الجار والمجرور " كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ " عشرة أقوال اقتصر النحاس على ذكر رأي الفراء فقط فقال : " زعم الفراء أَنَّ المعنى : كَفَرتِ العَرَبٌ كُفْرًا ككُفْرِ آلِ فِرْعَوْنَ[1] " ا هـ .

ومراده أَنَّ الجار والمجرور " كَدَأْبِ " في موضع نصب لتعلقه بكفروا وهو نعت لمصدر محذوف والتقدير : كَفَرُوا كُفْرًا كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ .

والمعنى المراد – والله أعلم – كَفَرُوا كُفْرًا كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ [2] .

ونص عبارة الفراء : " قوله (كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ) يقول : كَفَرَتِ اليَهُوْدُ ككُفْرِ آلِ فِرْعَوْنَ وَشَأْنِهِم[3] " ا هـ .

فالنحاس تصرف في عبارة الفراء ، فالفراء لم يصرح بأَنَّ الجار والمجرور (كَدَأْبِ) نعت لمصدر محذوف تقديره : كُفْرًا كَدَأْبِ والعامل فيه كفروا ، فلعل النسخة المطبوعة من (معاني القرآن) التى بين أيدينا فيها سقط يرشح ذلك قول أبي حيان : " وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره : كُفْرًا كَدَأْبِ والعامل فيه كفروا قاله الفراء[4] " ا هـ .

*** *** ***

(١) إعراب القرآن ١/٣٥٩ .
(٢) انظر : إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبري ١/٧٠ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٩ .
(٣) معاني القرآن للفراء ١/١٩١ .
(٤) البحر المحيط ٢/٣٨٩ .

ثم عقب النحاس على رأي الفراء : بأَنَّ الجار والمجرور (كَـدَأْب) معمولا لِـ(كَفَرُوْا) فقال : " قال أبوجعفر : لا يجوز أَنْ تكون الكاف مُتَعَلِّقَةً بكفروا ، لأَنَّ كفروا داخل في الصلة وكَدَأْبِ خارج منها [1] " ا هـ .

فحوى تخطئة النحاس لرأي الفراء أنه لا يجوز أَنْ يكون الجار والمجرور (كَدَأْبِ) متعلقًا بكفروا أَيْ معمولا لكفروا ؛ لأَنَّ جملة كفروا من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب صلة الموصول (الذين) الواقع اسما لِـ(إِنَّ) في قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ولا يجوز أَنْ يخبر عن الموصول حتى يستوفى الموصول صلته ومتعلقاتها ، وهنا في الآية الكريمة قد أخبر عن الذين بقوله ﷻ : ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ فهذه الجملة الفعلية في محل رفع خبر عن الَّذِيْنَ الواقع اسما لِـ (إِنَّ) ولا يجوز أَنْ يكون (كَدَأْبِ) معمولا لكفروا لأنه صلة للموصول (الذين) ولا يصلح إِنَّ الذين كفروا كَكُفْرِآلِ فِرْعَوْنَ لأَنَّ الكاف خارجة من الصلة ولا يعمل فيها ما في الصلة[2] لأَنَّ الفعل كفروا قد انقطع تعلقه بالجار والمجرور (كَدَأْبِ) لأجل استيفاء الذين خبره[3] .

قال أبو حيان : " وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره : كُفْرًا كَدَأْبِ والعامل فيه كفروا قاله الفراء وهو خطأ لأنه إذا كان معمولا للصلة كان من الصلة ولا يجوز أَنْ يخبر عن الموصول حتى يستوفى صلته ومتعلقاتها ، وهنا قد أخبر فلا يجوز أَنْ يكون معمولا لِمَا في الصلة[4] " اهـ

*** *** ***

(١) إعراب القرآن ٣٥٩/١ ، وما عَقَّبَ به النحاس على رأي الفراء سبقه إليه شيخه أبو إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٣٨٠/١ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٠/١ .
(٣) انظر : إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبريّ ٧٠/١ .
(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسيّ ٣٨٩/٢ .

في تخطئة النحاس وأبي حيان لتوجيه الفراء نظر :

فقد قال أبو البقاء العكبري : " قوله ﷻ : ﴿ كَدَأْبِ ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وفي ذلك المحذوف أقوال :

أحدها : تقديره : كَفَرُوا كُفْرًا كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، وليس الفعل المقدر ههنا هو الذى في صلة الذين لأَنَّ الفعل قد انقطع تعلقه بالكاف لأجل استيفاء الذين خبره ، ولكن بفعل دَلَّ عليه كفروا التى هى صلة[1] " ا هـ .

وقال أبوحيان : " وقيل بفعل محذوف يدل عليه كفروا والتقدير : كَفَرُوا كُفْرًا كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ [2] " ا هـ .

وأقول : هَلاَّ حمل النحاس وأبو حيان كلام الفراء بأَنَّ الجار والمجرور (كَدَأْبِ) معمول لفعل محذوف يدل عليه كفروا المذكور في الآية بناء على هذا التوجيه الأخير الذى ذكره أبو حيان نفسه – وسبقه إليه أبو البقاء العكبري – بَدَلاً مِنْ تخطئته للفراء ، ولاسيما أَنَّ الفراء لم ينص صراحة على أَنَّ الجار والمجرور (كَدَأْبِ) معمول لكفروا المذكور في الآية الكريمة .

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ﴿ لاَ تَحْمِلْ فِعْلَ أَخِيْكَ عَلَى القَبِيْحِ مَا وَجَدْتَ لَهُ فِيْ الحُسْنِ مَذْهَبًا[3] ﴾ .

هذا وقد بقي في العامل في الجار والمجرور (كَدَأْبِ) تسعة آراء لم ينبه عليها النحاس . [4]

---

(١) إملاء مَا مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعلامة / محب الدين أبي البقاء العكبري ١/٧٠ طبع الميمنية بمصر ١٣٠٦هـ

(٢) البحر المحيط ٢/٣٨٩

(٣) انظر : الحجة في علل القراءات السبع لأبي عليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ ٢/٢٥١ تح د/ عبد الفتاح شلبي وزميله طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣ هـ .

(٤) انظر هذه الآراء في : الكشاف للزمخشري ١/١٧٦ طبع دار المعرفة ببيروت ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٣٨٩ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١/٧٠ ، وروح المعاني للألوسيّ ٣/٩٠ طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

ثم ذكر أبو جعفر النحاس أَنَّ الصحيح أَنَّ الفعل (دَأَبَ) من باب قطع وخضع وتعقب أبا حاتم السجستاني في زعمه أَنَّ دَئِبَ يَدْأَبُ دَأَبًا من بـــاب فرح فقال: " قال أبو حاتم: وسمعت يعقوب يذكر(كَدَأَبِ) بفـــتح الهمـــزة ، وقال لِيْ وأنا غُلَيِّمٌ : عَلَى أَيِّ شيء يجوز كَدَأَبِ فَقُلْتُ : أَظُنُّهُ مِنْ دَئِبَ يَدْأَبُ دَأَبًا فَقَبِلَ ذلك مِنِّيْ وَتَعَجَّبَ من جودة تقديرى علـــى صـــغَرِيْ ، ولا أدرى أَيُقَالُ ذلك أم لا ؟ قال أبوجعفر هذا القول خَطَأٌ لا يقال البَتَّةَ : دَئِـــبَ وإِنَّمَـــا يُقَالُ : دَأَبَ يَدْأَبُ دُؤُوْبًا وَدَأَبَا ، هكذا حكى النحويون منهم الفراء ، حكى في " كتاب المصادر " [1] كما قال :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ∴ وَجَارَاتِهَا أُمِّ الرَّبَـــابِ بِمَأْسَـــلِ[2]

فَأَمَّا الدَّأَبُ فَإِنَّهُ يجوز كما يقال : شَعْرٌ وشَعَرٌ ، ونَهْرٌ ونَهَرٌ لأَنَّ فيـــه حرفًا من حروف الحَلْقِ[3] " ا هـــ .

لم يتعرض النحاس لشرح معنى " دَأْبِ) وفي معناهـــا يقـــول ابـــن منظور:

دَأَبَ فُلانُ في عمله أَيْ جَدَّ وتَعِبَ يَدْأَبَ دَأَبًا وَدَؤُوْبًا فهـــو دَئِـــبٌ ... والدَّأْبُ والدَّأَبُ بالتحريك : العادة والشَّأْنِ قال الفراء : أصله مِنْ دَأَبْتُ إِلاَّ أَنَّ

---

(١) كتاب المصادر في القرآن للفراء مفقود .

(٢) البيت لامرىء القيس من معلقته المشهورة ، والبيت من بحر الطويل عروضـــه وضـــربه مقبوضان . انظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمـــد بـــن القاســـم الأنباري ت أ / عبدالسلام محمد هارون ص ٢٧ – ٢٩ طبع دار المعارف بالقاهرة الطبعـــة الخامسة ١٩٩٣م .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٥٩ .

العرب حولت معناه إلى الشأن والحديث وفي الحديث ﴿ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ الليـــل فَإِنَّهُ دَأْبُ الصالحين قَبْلَكُمْ ﴾ الدَّأْبُ : العادةُ والشَّأْنُ ، هو مِنْ دَأَبَ في العَمَلِ إِذَا جَدَّ وتَعِبَ [1] " .

وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله ﷺ : ﴿ كَـــدَأْبِ آلِ فِرْعَـــوْنَ ﴾ أى كَشَأْنِ آل فرعون وكَأَمْرِ آل فرعون ، كذا قال أهل اللغة ، والقول عندى فيه – والله أعلم – إِنَّ (دَأْبَ) ههنا أي اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم علـــى النبيِّ ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام [2] " ا هـــ .

وقد ذكر النحاس في النص السابق جواب أبي حاتم السجستاني عـــن سؤال يعقوب له ثم عقب على الجواب بالتفنيد والتخطئة .

وملخص ما قاله النحاس : أَنَّ يعقوب سأل أباحاتم السجستاني : على أَيِّ شيءٍ يجوز كَدَأَبَ ؟ فأجابه أبو حاتم السجستاني : أَظُنُّهُ مِنْ دَئِبَ يَـــدْأَبُ دَأَبًا فَقَبِلَ يعقوبُ جواب أبي حاتم وتَعَجَّبَ من جودة تقديره على صِغَرِ ســـنه لكن أبا حاتم السجستاني لم يكن متمكنا من صحة جوابه فقـــال : ولا أدرى أَيُقَالُ ذلك أم لا ؟ فأبو حاتم ظَنَّ أَنَّ الفعل دَئِبَ من باب فَرِحَ بكسر عينه في الماضى وبفتحها في المضـــارع ، فتعقـــب النحـــاس جـــواب أبـــي حـــاتم السجستاني بالتخطئة قائلاً ما ملخصه: قول أبي حاتم إِنَّ الفعل دَئِبَ من باب فرح خطأ ، لا يقال البَتَّةَ : دَئِبَ وإنما الفعل دَأَبَ من باب قطع بفتح عينـــه في الماضى والمضارع هكذا حكى النحويون[3] ، وأقـــول : وهكـــذا قـــال

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (د أ ب) ٢/١٣١٠ طبع دار المعارف ١٩٧٩م .
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٣٨٠ .
(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/٣٥٩ .

أصحاب المعاجم اللغوية[1] أَمَّ الدَّأَبُ بفتح عين المصدر فإنه يجوز كما يقال: شَعْرٌ وشَعَرٌ ، ونَهْرٌ ونَهَرٌ لأَنَّ فيه حرفًا من حروف[2] الحَلْقِ .

قال الرضِيُّ : " إِنْ كان عَيْنُ فَعْلٍ المفتوح الفاء حلقيا ساكِنًا جاز تحريكه بالفتح نحو : الشَّعْرُ والشَّعَرُ والْبَحْرُ والْبَحَرُ ، ومثلهما لغتان عند البصريين في بعض الكلمات ، وليست إحداهما فَرْعًا للأخرى ، وأَمَّا الكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعا لساكنها ، ورأوا هذا قِيَاسًا في كل فَعْلٍ شَأْنُهُ ما ذكرنا وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح[3] " ا هـ .

فالدَّأَبُ بفتح العين فرع عن الدَّأْبِ بتسكين العين وجعل الكوفيون ذلك قياسًا مُطَّرِدًا فَكُلُّ ما كان على فَعْلٍ – بفتح الفاء وسكون العين – وعينه حرف حلق فإنه يجوز فتح عينه لمناسبة حرف الحلق .

أَمَّا البصريون فيرون أَنَّ المفتوح العين ليس فَرْعًا عن الساكن ، وإنما هما لغتان فيما سمع فيه ذلك ولا قياس فيما لم يسمع .

---

(١) قال الفَيْرُوز آبادى في القاموس المحيط (١/٦٤ طبع الحلبي) : " دَأَبَ في عَمَلِه كَمَنَعَ دَأْبًا ويُحَرَّكُ وَدَؤُوبًا بالضم جَدَّ وتَعِبَ وأَدْأَبَهُ والدَّأْبُ أيضا ويُحَرَّكُ الشَّأْنُ والعَادَةُ والسَّوْقُ الشديدُ والطَّرْدُ " ا هـ .
وقال الرازي في مختار الصحاح ١ /٢١٦ طبع الأميرية بمصر ١٣٢٣هـ : " دَأَبَ في عَمَلِه جَدَّ وتَعِبَ وبابه قطع وخضع فهو دَائِبٌ بالألف لا غير والدائبان الليل والنهار ، والدَّأْبُ بسكون الهمزة العَادَةُ والشَّأْنُ وقد يُحَرَّكُ " ا هـ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/٣٥٩ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب للشيخ / رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذيّ النحويّ ت أ / محمد نور الحسن ، ومحمد الرفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ١/٤٧ طبع حجازى بالقاهرة .

التعقيب الثالث

تعقيب النحاس على الفراء في (ما) في قول الله ﷻ :

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ [1] ﴾

تمهيد :

يرى أبوالعباس المبرد أنَّ ما تقع على كل شيء وحقيقتها أنْ يسأل بها عن ذوات غير الآدميين ، وعن صفات الآدميين تقول : ما عندك ؟ فتجيب بها عن كل شيء ماخلا مَنْ يعقل ، فَأَمَّا وقوعها على صفات الآدميين فَأنْ تقول: مَازَيْدٌ ؟ فيقول لك : طويل أو شريف أو نحو ذلك ، فإذا أقمت الصفة مُقَامَ الموصوف أَوْقَعْتَهَا على مَنْ يعقل ، وإقامة الصفة مُقَامَ الموصوف كقولك : مررت بظريفٍ ، ومررت بعاقلٍ ، فَإِنَّمَا حَدُّ هذا أَنْ يكونَ تَابِعًا للاسم وَأَقَمْتَهُ مَقَامَهُ .

فَمِمَّا وقعت (ما) فيه على الآدميين قول الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [2] ﴾ .

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ٣

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٥ ، ٦ وسورة المعارج ٢٩ ، ٣٠

وقال قوم[١] : (ما) وصلتها مصدر ، فمعناه : أَوْ مِلْـكَ أَيْمَـانهم ، وهذا أقيس[٢] في العربية ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا [٣] ﴾ فقال قوم [٤] : إِنَّمَا هو : والسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا ، وقال قوم : معناه : وَمَنْ بَنَاهَا[٥] .

*** *** ***

هذا وقد اختلفت كلمة النحاة – بعد المبرد – فيما تدل عليـه (مـا) بحسب وضعها اختلافًا واسعًا وإليك ملخص ما قالوه :

(أ) يرى ابن يعيش أَنَّ (ما) تكون موصولة بمعنى الذى فتحتـاج إلـى صلة مثل ما تحتاج إليه الذى ، وهى تستعمل في شيئين : ما لا يعقل وصفات مَنْ يعقل ، وليس أحد الاستعمالين أغلب من الآخر[٦]

(ب) يرى الرضي أَنَّ (ما) تستعمل في الغالب لما لا يعلم ، وقد تسـتعمل في العالم قليلا كقوله ﷻ : ﴿ أَوَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [٧]﴾ وتستعمل أيضـا

---

(١) منهم الفراء قال في معاني القرآن (٢٥٤/١) : " ... كما قال (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) يريد أو مِلْكَ أَيْمَانُكُمْ " ا هـ .

(٢) لأَنَّ " ما " إذا وصلت بالفعل كانت مصدرًا ، تقول : بلغنى مَا صَنَعْتَ أي صنيعك . انظـر : المقتضب للمبرد ٢٩٥/٢ .

(٣) سورة الشمس الآية رقم ٥ .

(٤) منهم الفراء قال في معاني القرآن (٢٦٣/٣ ، ٢٦٤) : " وقد تكون (ما) وما بعدها في معنى المصدر كقوله " والسماء وما بناها"،" ونفس وما سواها" كأنه قال: والسماء وبنائهـا ونفس وتسويتها " ا هـ .

(٥) انظر : المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت د / محمد عبـد الخـالق عضـيمة ٢١٧/٤ ، ٢١٨ طبع مؤسسة دار التحرير بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ

(٦) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤٥/٣ .

(٧) سورة النساء من الآية رقم ٣ .

في صفات العالم غالبًا نحو : زيد ما هو ؟ وما هـذا الرجـل ؟ فهـو سؤال عن صفته ، والجواب عالم أو غير ذلـك ، وتسـتعمل أيضـا استفهامًا كانت أو غيره في المجهول ماهيته وحقيقته ، تقول : ما هذا أفرس أم بقر أم إنسان[1] ؟ .

(ج) يرى ابن هشام الأنصاري : أنَّ (ما) لما لا يعقل وحده نحو : ﴿ مَـا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ [2]﴾ وله مع العاقل نحو قول الله ﷻ : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِـي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ[3] ﴾ ولأنواع مَنْ يعقل نحو:﴿ فَـانكِحُوا مَـا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ [4] ﴾ وللمبهم أمره كقولك وقد رأيت شَبَحًا اُنْظُـرْ إِلَى مَا ظَهَرَ . [5] .

وخلاصة أقوال النحاة المتأخرين في (ما) أنَّهَا في أصـل وضـعها لغير العالم وتستعمل للعالم في ثلاث مسائل :

١- إذا اختلط العالم بغيره .

٢- لصفات العالم وأنواعه .

٣- للمبهم أمره .

---

(١) انظر : شرح الكافية للرضي ٢/٥٥ .

(٢) سورة النحل من الآية رقم ٩٦ .

(٣) سورة الحشر والصف الآية رقم١ .

(٤) سورة النساء من الآية رقم٣ .

(٥) انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاريّ ت ا / محمد محيي الـدين عبد الحميد ١٥٠/١ طبع ونشر المكتبة العصرية ببيروت لبنان .

هذا وقد ذكر أبوجعفر النحاس رأيين في (ما) في قــول الله ﷻ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ وإليك كلام النحاس بحروفه :

قال أبو جعفر النحاس : " ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِــي اليَتَــامَى[1] ﴾ شرط أَيْ إِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوْا في مُهُوْرِهِنَّ وفي النفقة عليهن : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ فَدَلَّ بهذا على أَنَّهُ لا يُقَالُ : نساء إِلاَّ لِمَنْ بلغ الحلم ، واحدُ النساء نسوة ولا واحد لنسوة من لفظه ولكن يقال : امرأة ، ويقال : كيف جاءت (ما) للآدميين ؟ ففي هذا جوابان : قال الفراء : (ما) ههنــا مصدر وهذا بَعِيْدٌ جِدًّا .

لا يصح فانكحوا الطَيِّبَة ، وقال البصريون (ما) تقع للنعوت كما تقع (ما) لِمَا لا يعقل يقال : ما عندك ؟ فيقال : ظريــف وكــريم ، فــالمعنى : فَانْكِحُوْا الطيب من النساء أي الحلال وَمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ فليس بِطَيِّبٍ [2] " ا هـ

*** *** ***

ذكر النحاس في هذا النص رأيين في (ما) في الآية الكريمة :

الرأي الأول : يرى الفراء أَنَّ (ما) مصدرية فــي موضــع نصــب مفعول بانكحوا والفعل بعدها (طاب) صلتها والمصدر المقدَّر بها وبالفعل طاب مقدر باسم الفاعل أى انكحوا الطيب ، من النساء : جــار ومجــرور

---

(١) سورة النساء من الآية رقم٣ .
(٢) إعراب القرآن ١/٤٣٣ ، ٤٣٤ .

متعلق بمحذوف حال من ضمير الفاعل في طاب والمعنى : انكحوا الطيِّبَ مِنَ النِّسَاءِ(١) .

قال الفراء : " (مَا طَابَ لَكُمْ) ولم يَقُلْ مَنْ طَابَ لَكُمْ ، وذلك أَنَّهُ ذهب إلى الفعل كما قال : " أوَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (٢) " يريد أَوْ مِلْكَ أَيْمَانُكُمْ ، ولو قيل في هذين مَنْ كان صوابًا ، ولَكِنَّ الوجه ما جاء به الكتاب ، وأنت تقول في الكلام خُذْ مِنْ عَبِيْدِى مَا شِئْتَ إذا أراد مشيئتك ، فَإِنْ قُلْتَ : مَنْ شِئْتَ .

فمعناه : خُذْ الذى تشاءُ(٣) " اهـ ظاهر كلام الفراء أَنَّ (مـا) فـي الآية الكريمة يراد بها الحدث والمعنى الذى في طاب ولم يذهب إلى الذوات، فالمراد بقوله ﷻ : ﴿ مَـا طَـابَ لَكُـم ﴾ الفعـل دون أعيـان النسـاء وأشخاصهن فلذلك قال : ما ، ولم يقل : مَنْ ، ولو قيل : مَنْ كان صـوابًا ، ولكن الوجه ما جاء به الكتاب العزيز ، وأنت تقول في الكلام : خُـذْ مِـنْ عَبِيْدِى مَا شِئْتَ ، إذا عَيَّنْتَ خُذْ منهم مشيئتك ، ولو أراد خُذِ الـذى تشـاء منهم لقلتَ : خُذْ مِنْ عَبِيْدِى مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ (٤) .

وحمل كلام الفراء على أَنَّ (مَا) عنده مصدرية ، والمصدر المؤول منها ومن الفعل طاب بَعْدها مقدر باسم الفاعـل أي انكحـوا الطيـب مـن النساء.

*** *** ***

---

(١) انظر : إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبرى ٩٢/١ ، والبحر المحيط ١٦٢/٣ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٣٩٩/١ ، وروح المعاني للألوسي ١٨٩/٤ ، ١٩٠ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ٣ .

(٣) معاني القرآن ٢٥٣/١ ، ٢٥٤ .

(٤) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٤ ص١٥٩ طبع دار المعرفة ببيروت لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

وقد عَقَّبَ النحاس على رأي الفراء فقال : " هذا بعيد جِدًّا ، لاَ يَصِحُ فَانْكِحُوْا الطَّيِّبَةَ [1] " ا هـ .

فحوى تعقيب النحاس على رأي الفراء : أَنَّ النكاح إنما هو للذوات لا للصفات ولا يصح ما ذهب إليه الفراء من أَنَّ (ما) في قوله ﷻ :

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ مُرَادٌ بِهَا الحدث والمعنى الذى في طاب ولم يذهب إلى الذوات ، لأَنَّ النكاح إِنَّمَا هو للذوات لا للصفات .

*** *** ***

وللفراء رأي ثانٍ في (ما) في الآية الكريمة – ذهل عنه النحاس – وهو أَنَّ (ما) تستعمل للعاقل وهذا جائز في العربية .

* قال الفراء : " قوله : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ [2]﴾ يقول: تَرَكَ الذى كان يدعوه إذا مَسَّهُ الضُّرُ ، يريد الله ﷻ : " فَإِنْ قلت : فَهَلاَّ قيل : نَسِيَ مَنْ كَانَ يَدْعُوْا ؟ قلت : إِنَّ (ما) قد تكون في موضع (مَنْ) .

قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ [3] ﴾ يعنى الله ، وقال :﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾

---

(١) إعراب القرآن ٤٣٤/١ .
(٢) سورة الزمر من الآية رقم ٨ .
(٣) سورة الكافرون الآيات رقم ١ ، ٢ ، ٣ .

فهذا وجه وبه جاء التفسير ومثله ﴿ أَن تَسْجُدَ [1] لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [2] ﴾ " ا هـ .

* وقال الفراء : " قوله ﷻ : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ [3] ﴾ أقسم بآدم وولده ، وصلحت (ما) للناس ، ومثله ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى [4] ﴾ وهو الخالق الذكر والأنثى ، ومثله :﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ [5] ﴾ ولم يقل مَنْ طاب ، وكذلك : ﴿ وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ [6] ﴾ كل هذا جائز في العربية [7] " ا هـ .

ظاهر كلام الفراء في هذين النصين أنَّ (ما) في قول الله ﷻ :

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ للعاقل واستعمال (ما) للعاقل لها شواهد تؤيدها من الكتاب العزيز وهذا ليس بعزيز فقد استشهد الفراء لهذا الاستعمال بالإضافة إلى الشواهد التى ذكرها في النصين السابقين بقول الله ﷻ : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ [8] ﴾ .

---

(١) سورة ص من الآية رقم ٧٥ .
(٢) معاني القرآن ٢/٤١٥ ، ٤١٦ .
(٣) سورة البلد الآية رقم ٣ .
(٤) سورة الليل الآية رقم ٣ .
(٥) سورة النساء من الآية رقم ٣ .
(٦) سورة النساء من الآية رقم ٢٢ .
(٧) معاني القرآن ٣/٢٦٣ .
(٨) سورة الأعراف الآية رقم ١٩١ .

قال الفراء : (قوله ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾ أراد الآلهة بِـ(مَا) ولم يقل:(مَنْ) ثم جعل فعلهم كفعل الرجال و قال :﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ولا يملكون ، وقوله : ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ [1] ﴾ فجعل الفعل للرجال [2] " ا هـ

*** *** ***

الرأي الثاني : ذهب البصريون إلى أَنَّ (ما) تستعمل لما لا يعقل ولنعوت مَنْ يعقل فلذلك وقعت (ما) في قول الله ﷻ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ لنعت مَنْ يعقل والمعنى : فانكحوا الطيب من النساء أي الحلال وما حرمه الله فليس[3] بطيب .

وقد أشار المبرد مرارًا إلى أَنَّ (ما) تستعمل لذوات غير الآدميين ولصفات الآدميين[4] وقال الزمخشري: " قيل ما ذهابا إلى الصفة ، ولأَنَّ الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله ﷻ : ﴿ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [5] ﴾ " ا هـ

*** *** ***

هذا وللصبان رأي في (ما) في الآية الكريمة جدير بالقبول ، وهو أَنَّ (ما) في الآية لذات العالم ملحوظا فيه الصفات غير المفهومة من الصلة

---

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ١٩٢ .
(٢) معانى القرآن للفراء ١/٤٠٠ .
(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/٤٣٤ .
(٤) انظر : المقتضب للمبرد ١/١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢/٥١ ، ٥٢ ، ٢٩٥ ، ٣/٦٣ ، ٤/١٨٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٥) الكشاف للزمخشري ١/٢٤٤ .

كالبكارة والثيوبة فـــ(ما) في قول الله ﷻ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّـــنَ النِّسَاءِ﴾ ليست واقعة على الصفة نفسها المفهومة من صلتها لأَنَّ النكاح لا يتعلق إلاَّ بالذات ، فالمعنى ههنا انكحوا الموصوفة بِأَيْ صفة أردتـــم مـــن البكر والثيب إلى غير ذلك من الأوصاف[1] .

(١) انظر : حاشية الصبان على منهج السالك للأشمونى ١/١٥٣ ، ١٥٤

التعقيب الرابع

تعقيب النحاس على الفراء في توجيه نصب (خَيْرًا)
في قول الله ﷻ : ﴿ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ [1]﴾

في انتصاب خَيْرًا ثلاثة أقوال :

(أ) يرى الخليل وسيبويه أَنَّ " خَيْرًا " مفعول به لفعل محذوف وجوبا لكثرة الاستعمال والتقدير : اِئْتُوْا خَيْرًا لَكُمْ .

(ب) يرى الكسائي وأبوعبيدة معمر بن المثنى أَنَّ " خَيْرًا " خبرًا لكان المحذوفة مع اسمها والتقدير : اِنْتَهُوْا يكُنْ الاِنْتِهَاءُ خَيْرًا لَكُمْ .

(ج) يرى الفراء : أَنَّ " خَيْرًا " نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل الذى قبله .

*** *** ***

قال النحاس :﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ [2] ﴾ أَيْ لا تقولوا آلِهَتُنَا ثَلاَثَةٌ﴿اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ [3] ﴾ .

قال سيبويه : وَمِمَّا ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره قوله (اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ) لأَنَّكَ إذا قلت : اِنْتَهِ فأنت تخرجه (من أمر[4]) وتدخله في آخر وأنشد :

فَوَاعِدِيْهِ سَرْحَتَيْ مَالِكِ ∴ أَوِ الرُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْهَلاَ

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ١٧١ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٧١ .

(٣) سورة النساء من الآية رقم ١٧١ .

(٤) الكلمتان التى بين القوسين سقطتا من نص النحاس وهما في كتاب سيبويه ٢٨٣/١ ت/هارون .

ومذهب أبي عبيدة اِنْتَهُوْا يكُنْ خَيْراً لَّكُمْ ، قال محمد بن يزيد : هـذا خطأ لأَنَّهُ (يُضْمِرُ [1]) الشرط وجوابه وهذا لا يوجـد فـي كـلام العـرب ومذهب الفراء : أَنَّهُ نعت لمصدر محذوف، قال علي بن سليمان : هذا خطأ فاحش لأنه يكون المعنى: انتهوا الانتهاء الذى هو خير لكم [2] " ا هـ

ذكر النحاس في توجيه نصب "خَيْرًا " من قـول الله ﷻ : ﴿ اِنْتَهُـوْا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ ثلاثة آراء :

الرأي الأول : قال سيبويه : " ... ممَّا ينتصب في هذا البـاب علـى إضمار الفعل المتروك إظهاره : " اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ " و " وَرَءاكَ أَوْسَعَ لَكَ " وَحَسْبُكَ خَيْرًا لَكَ إذا كُنْتَ تَأْمُرُ ، ومن ذلك قول الشاعر وهـو ابـن أبـي ربيعة:

فَوَاعِدِيْهِ سَرْحَتَيْ مَالِـكِ ∴ أَوِ الرُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْـهَلاَ [3]

---

(١) الكلمة التى بين القوسين في نص النحاس هكذا (لايضمر) وهذا خطأ لأَنَّ إثبات " لا " يفسد المعنى المراد ولم يتنبه محقق الكتاب إلى هذا الخطأ

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥٠٩/١

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو من بحر السريع ، اللغة : واعديه : مفاعلة مـن الوعـد ، سَرْحَتَيْ مَالِكٍ منصوب على الظرفية والتقدير فواعديه المكان الذى فيـه سـرحتا مالـك ، وهما شجرتان لمالك شهر الموضع بهما ، والسرحة واحدة السرح وهو كل شجر عظيم لا شوك له ، الرُّبَا جمع رَبوة بتثليث الراء وهو المكان المرتفع عَمَّا حوله وكانت الرُّبَـا بـين السرحتين ، المعنى : أرسلت عشيقة عمر بن أبي ربيعة امرأة تعيِّن له موضـع الملاقـاة وأمرتها أَنْ تواعده الليلة المكان الذى فيه سرحتا مالك أو يلتمس مكانا يقـرب مِـنْ ذلـك الموضع لأنهما إذا علوا الرُّبَا عرف مكانهما وشنع أمرهما ، وهذا المعنى هو الصواب كما يعلم من البيت الذى بعده وهو :

إِنْ جَـاءَ فَلْيَـأْتِ عَلَـى بَغْلَـةٍ ∴ إِنِّـي أَخَـافُ المُهْـرَ أَنْ يَصْـهَلاَ

=

وإِنَّمَا نصبت خَيْرًا لَكَ وَأَوْسَعَ لَكَ ، لأَنَّكَ حين قلت : " اِنْتَهِ " فأنت تريد أَنْ تَخْرِجَهُ مِنْ أَمْرٍ وتُدْخِلَهُ في آخَرَ .

وقال الخليل : كَأَنَّكَ تَحْمِلُهُ على ذلك المعنى ، كَأَنَّكَ قلت : اِنْتَهِ وَادْخُلْ فيما هو خَيْرٌ لَكَ ، فَنَصَبْتَهُ لأَنَّكَ قد عرفت أَنَّكَ إذا قُلْتَ له : انْتَهِ ، أَنَّكَ تحمله على أمرٍ آخر ، فلذلك انتصب ، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالِهِمْ إِيَّاهُ في الكلام ، ولعلم المخاطَبِ أنه مَحْمُولٌ على أَمْرٍ حين قال له : اِنْتَهِ ، فصار بَدَلاً من قوله : اِئْتِ خَيْرًا لَكَ ، وادْخُلْ فيما هو خَيْرٌ لَكَ [1] " ا هـ

فسيبويه يرى أَنَّ " خَيْرًا " مفعول به لفعل محذوف وجوبا لكثرة الاستعمال والتقدير : اِئْتُوْا خَيْرًا لَكُمْ ، لأَنَّكَ إذا قلت اِنْتَهِ فأنت تَخْرِجَهُ مِنْ أَمْرٍ وتُدْخِلَهُ في أمر آخر فَكَأَنَّكَ قلت : اِنْتَهِ واِئْتِ خَيْرًا لَكَ ، وادْخُلْ فيما هو خَيْرٌ لَكَ .

وقال الخليل كأَنَّكَ تحمله على المعنى ، كأَنَّكَ حين قلت : اِنْتَهِ علم أنه يدفعهم عن أمر ويغريهم بأمرٍ يزجرهم عن خلافه ،كَأَنَّكَ قلت : اِنْتَهِ وادْخُلْ فيما هو خَيْرٌ لَكَ فانتصب خَيْرًا بفعل يجب إضماره تقديره : اِئْتِ أَوْ اقْصِدْ أو ما يفيد هذا المعنى ، لأَنَّكَ قد عَرَفْتَ أَنَّكَ إذا قلت : اِنْتَهِ أَنَّكَ تحمله على أَمْرٍ

= الشاهد فيه : نصب أسهلا بإضمار فعل دلّ عليه ما قبله تقديره : واعديه مكانًا أسهلا ، وقيل تقديره : ائت مكانًا أسهلا . انظر : الكتاب ١٤٣/١ طبع بولاق ، وشرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي ت د / محمد على سلطاني ٤٢٨/١ ، ٤٢٩ طبع دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٩م ، وخزانة الأدب للبغدادي ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، والأمالي الشجرية ٣٤٤/١ ، وشرح التسهيل لابن مالك ١٥٩/٢ .

(١) الكتاب ٢٨٢/١ – ٢٨٤ ت / هارون طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م .

آخر فلذلك انتصب خَيْرًا ، وحذفوا الفعل الناصب لِـ(خَيْرًا) لكثرة استعمالهم إِيَّاهُ في الكلام ، ولعلم المخاطَبِ أنه مَحْمُولٌ على أَمْرٍ حين قال له : اِنْتَـهِ ، فصار بَدَلاً من قوله : ائْتِ خَيْرًا لَكَ ، وادْخُلْ فيما هو خَيْرٌ لَكَ .

والملحوظ أَنَّ قول سيبويه وقول الخليل متقاربان ويقوى مذهب سيبويه أي تقدير ائْتِ في الآية وكذا قول عمر بن أبي ربيعة :

فَوَاعِدِيْهِ سَرْحَتَيْ مَالِكِ ∴ أَوِ الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلاَ

أَيْ قوليْ ائْتِ مكانًا أَسْهَلاَ ، وقرينة تقدير : ائْتِ في هذا الموضع أَنَّكَ نهيت في الأول عن شيء ثم جئت بعده بما لا تنهى عنه ، بل هو مما يؤمر به فيجب أَنْ ينتصب بِائْتِ أو اقْصِدْ أو ما يفيد هذا المعنى . (١)

وفي تقدير سيبويه والخليل فائدة عظيمة ؛ لأنه نهاهم بقوله " انْتَهُوْا" عن التثليث ، وأمرهم بقوله " ائْتُوْا خَيْرًا لكم بالدخول في التوحيد فكأنه قال: انْتَهُوْا عن قولكم آلهتنا ثلاثة واتُوْا خَيْرًا لكم فقولوا إنما الله إِلَهٌ واحد، فقد أخرجهم بهذا التقدير عن أمر فظيع وأدخلهم في أمر حسن جميل . (٢)

الرأي الثاني : يرى الكسائيُّ وأبو عبيدة معمر بن المثنى أَنَّ (خَيْـرًا) خبر لكان المحذوفة مع اسمها والتقدير : انتهوا يكن الانتهاء خَيْرًا لكم(٣) .

---

(١) انظر : شرح الكافية للشيخ العلامة / رضيّ الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ١٢٩/١ .

(٢) انظر : الأمالي الشجرية للإمام / ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العَلَويّ الحَسَنيّ المعروف بابن الشجرى ٣٤٣/١ طبع الهند ١٣٤٩هـ .

(٣) انظر : المقتضب للمبرد ٢٨٣/٣ ، وإملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبريّ ١١٣/١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٨/٢ ، وشرح التسهيل لابن مالك ١٥٩/٢ ، وشرح الكافية للرضيّ ١٢٩/١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسيّ ٢٧٩/٢ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١٦٩/٢ .

قال السيرافي : " قال الكسائيُّ معناه : انْتَهُوْا يَكُــنْ الانْتِهَــاءُ خَيْــرًا لَكُمْ [1] " ا هــ .

وقال أبوعبيدة معمر بن المثنى في قــول الله ﷻ : ﴿ فَــآمِنُوا خَيْــراً لَّكُمْ [2]﴾ قال : " فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ " نصب على ضمير جواب يكن خَيْرًا لَكُــمْ وكذلك كل أمرٍ ونَهْي[3] " ا هــ .

*** *** ***

وقد عَقَّبَ النحاس على رأي الكسائيِّ وأبي عبيدة فقال : " قال محمد ابن يزيد : هذا خطأ لأنه يضمر الشرط وجوابه ، وهذا لا يوجد فــي كــلام العرب[4] " ا هــ .

وما نقله النحاس عن المبرد ليس بدقيق فقد قال المبرد في إعــراب قول الله ﷻ ﴿ انْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ " قد قالِ قوم : إِنَّمَا هو على قوله : يَكُنْ خَيْرًا لكم ، وهذا خطأ في تقدير العربية ؛ لأَنَّهُ يضــمر الجــواب ولا دليــل عليه[5] " اهــ

---

(١) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي بذيل الكتاب ١٤٣/١ طبع بولاق .
(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٧٠ ، والملحوظ أنَّ أبا عبيدة لم يتكلم عن الآيــة رقــم ١٧١ من سورة النساء وهى " انْتَهُوْا خَيْرًا لَكُم " وهى الآية التى عَقَّبَ النحاس علــى رأي أبــي عبيدة في إعرابها .
(٣) مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيميْ ١٤٣/١ ، طبع مؤسســة الرســالة ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠١هــ - ١٩٨١م .
(٤) إعراب القرآن ٥٠٩/١ .
(٥) المقتضب صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبــرد ت د / محمــد عبــدالخالق عضــيمة ٢٨٣/٣، والملحوظ أنَّ المبرد قَنَّدَ إعراب " خَيْرًا " خبر لكان المحذوفة مع اسمها في الآية " انتهوا خَيْرًا اكم " النساء ١٧١ مع أنَّ أبا عبيدة لم يتكلم عن إعراب هذه الآية .

أقول : تخطئة المبرد لرأي الكسائي وأبي عبيدة – وهو لم يصرح باسميهما – بأنَّ كان لا تحذف مع اسمها ويبقى خبرها كثيرًا إلاَّ بعد إنْ ولو الشرطيتين[1] ، وكان مع اسمها المحذوف وخبرها المذكور مجزومة لوقوعها في جواب الطلب " انتهوا " وجازم جواب[2] الطلب ؛ هو الطلب

---

(١) يكثر حذف كان مع اسمها ويبقى خبرها بعد إنْ ولو الشرطيتين ؛ فالأول كقول ابن عباس ﷺ : ﴿ النَّاسُ مَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ﴾ والتقدير : إِنْ كَانَ عَمَلُهُمْ خَيْرًا فَجَزَاؤُهُمْ خَيْرٌ ، وإِنْ كانَ عَمَلُهُمْ شَرًّا فَجَزَاؤُهُمْ شَرٌّ وهذا أرجح الأوجه في مثل هذا التركيب وفيه وجوه أُخر . انظر الكتاب ١/١٣٠ طبع بولاق وشرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري ص١٨٧، والثانى : كقول رسول الله ﷺ : ﴿ الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ ﴾ أي ولو كان الذى تلتمسه خَاتِمًا من حديدٍ . انظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب للإمام جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاريّ المصريّ ت أ / محمد محيي الدين عبدالحميد ص ١٨٧ طبع السعادة بمصر الطبعة العاشرة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

* يقل حذف كان مع اسمها ويبقى خبرها من غير أنْ يتقدمها إنْ ولو الشرطيتان كقول الشاعر : مِنْ لَدُ شَوْلاً فَإِلى إِتْلاَئِهَا ، الشاهد فيه : نصب شَوْلاً على أنها خبر لكان المحذوفة مع اسمها ، واسم كان المقدر ضمير النوق في كلام تقدم قبله والتقدير عند سيبويه مِنْ لَدُ أَنْ كَانَتْ شَوْلاً ، وهى التى ارتفعت ألبانها للحمل إلى إتلائها ، إلى أنْ صارت متلية يتلوها أولادها بعد الوضع انظر: الكتاب١/١٣٤ طبع بولاق وخزانة الأدب للبغدادي٢/٨٤، ٨٥ .

(٢) في جازم جواب الطلب أقوال :

أ – الجازم " إنْ " الشرطية المقدرة وهو مذهب سيبويه .

ب– الجازم هو الطلب نفسه لَمَّا قام مقام أداة الشرط وهو رأي الخليل وإليه ذهب المبرد . انظر : الكتاب ١/٤٤٩ طبع بولاق والمقتضب ٢/١٣٣ .

ج– يرى السيرافي والفارسي وابن عصفور : أنَّ الأمر والنهي وباقى أنواع الطلب نابت عن الشرط أي حذفت جملة الشرط (الأداة والفعل) وأنيبت هذه في العمل منابها فجزمت . =

نفسه لَمَّا قام مقام أداة الشرط [1] وإضمار جواب الطلب من غيـــر أنْ يـــدل عليه دليل خطأ في تقدير العربية .

وأقول : رأي الكسائي وأبي عبيدة ليس خطأ كما زعم المبرد بل هو غير جائز عند البصريين لأَنَّ كان لا تحذف هى واسمها ويبقى خبرها كثيرًا إلاَّ بعد إنْ ولو الشرطيتين .

والأولى أنْ نقول : تخريج الكسائيِّ وأبي عبيدة تخريج على قلة[2] .

وقد عقب الفراء[3] على رأى الكسائي ... وإنْ كان الفراء لم يصرح باسم الكسائي في إعراب خَيْرًا في قول الله ﷻ : ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُـــمْ [4]﴾ فقال : " ... ليس نصبه على إضمار يكن ، لأَنَّ ذلك يأتي بقياس يبطل هذا، ألا ترى أَنَّكَ تقول : اتق الله تكن مُحْسِنًا ، ولا يجوز أنْ تقول : اتـــق الله مُحْسِنًا ، وأنت تضمر (تكن) ، ولا يصلح أنْ تقول : انصرنا أخانا وأنـــت تريد تكن أخانا[5] "ا هـــ .

= د – ذهب أكثر المتأخرين : إلى أَنَّ الجزم بشرط مقدر هو وفعله بعد الطلب لدلالة الطلب عليهما ، وعليه يكون عامل الجزم مقدرًا لا مذكورًا .

هـــ – قيل : الجزم بلام طلب مقدرة ، فإذا قيل ألاَ تَنْزِلُ عندنا تُصِبْ خيرًا فمعناه : لِتُصِـــبْ خيرًا ، وعليه يكون العامل مقدرًا ، وقد ذكر الأشموني أَنَّ هذا الرأي ضعيف ، لأنه لا يستقيم من جهة المعنى في كل موضع إلاَّ بتجوز وتكلف في بعض المواضع . انظر : منهج السالك للأشموني ٣/٣٠٩ ، ٣١٠ .

(١) انظر : المقتضب للمبرد ٢/١٣٣ .

(٢) انظر : التصريح بمضمون التوضيح ١/٣١٥ .

(٣) لم يشر النحاس إلى تعقيب الفراء على رأي الكسائيّ بكلمة .

(٤) سورة النساء من الآية رقم ١٧٠ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٢٩٦ .

فالفراء عَقَّبَ على إعراب الكسائي " خَيْرًا " في قول الله ﷻ : ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ على أنَّ " خَيْرًا " خبرٌ لكان المحذوفة مع اسمها ، بِأَنْ قال مفندًا إعراب الكسائي : لا يجوز أَنْ تقول : اتَّقِ الله مُحْسِنًا وأنت تضمر تكن ، ولا يصلح أَنْ تقول : انصرنا أخانا وأنت تريد تكن أخانا ، لأَنَّ كان لا يقدر قياسًا ، لأَنَّهُ لا دليل من الكلام أو شاهد من الحال على هذا التقدير ، وإِنَّمَا يضمرون ما عليه دلالة من الكلام أو شاهد من الحال .

ولعل الفراء أخذ تعقيبه على تخريج الكسائي من قول سيبويه : " اعلم أنه لا يجوز ذلك أَنْ تقول : عَبْدَ اللَّه المَقْتُولَ وأنت تريد : كُنْ عَبْدَ اللَّه المَقْتُولَ ، لأنه ليس فِعْلاً يصل من شيء إلى شيء ، ولأَنَّكَ لَسْتَ تشير له إلى أَحَدٍ[1] " ا هـ .

قال السيرافيُّ في تعليله : " لأَنَّهُ ليس قبله ولا في الحال دلالة عليه ، إِذْ يجوز أَنْ يكون على معنى : تَوَلَّ عبد الله المقتول ، وَأَحِبَّهُ ، وما أشبه ذلك ، إِنَّمَا يضمرون ما عليه الدلالة من الكلام أو شاهد من الحال[2] " ا هـ

الرأي الثالث : ذهب الفراء إلى أَنَّ " خَيْرًا " في قول الله ﷻ : ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل الذى قبله .

قال الفراء :" قوله ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ [3] ﴾ خَيْرًا منصوب باتصاله بالأمر لأنه من صفة الأمر، وقد يستدل على ذلك؛ ألم تر الكناية عن الأمر

---

(١) الكتاب ١٣٣/١ طبع بولاق .
(٢) انظر الكتاب ح١ ذيل صفحة ١٣٣ طبع بولاق .
(٣) سورة النساء من الآية رقم ١٧٠ .

تصلح قبل الخير ، فتقول للرجل : اتق الله هو خير لك ؛ أي التقاء خير لك، فإذا سقطت (هو) اتصل بما قبله وهو معرفة فنصب[1] " ا هـ

يرى الفراء أنَّ الكلام جملة واحدة ، فـ(خَيْرًا) صفة لمصدر محذوف والتقدير عنده : آمنوا إيماناً خَيْرًا لكم ، قال الفراء : خيرًا منصوب باتصاله بالأمر لأنه من صفة الأمر ؛ كأنه يريد أنه نائب عن المصدر فنصب نصب المصدر لكونه إيَّاهُ وحاصل ذلك أنه مفعول مطلق ، وعلل ذلك بأنَّ الأصل : هو (أيْ الإيمان) خَيْرٌ فانعقد من هذا اتحاد بين الإيمان وخير ، فَلَمَّا حذف ضمير الإيمان وبقى خَيْرٌ الذي هو مرادف إيمان فكأنه قيل : آمنوا إيماناً فانتصب (خَيْرًا) كما ينتصب (إيماناً) ويذكر الناقلون مذهب الفراء أنه يقدر : آمنوا إِيْمَانًا خَيْرًا وهو يرجع إلى ما قلته .

قال ثعلب : " ... الفراء قال : فآمِنُوْا إِيْمَانًا خَيْرًا لَكُمْ [2] " ا هـ

وقال النحاس : " فآمِنُوْا خَيْرًا لَكُمْ ... على قول الفراء نعت لمصدر محذوف أيْ إِيْمَانًا خَيْرًا لَكُمْ [3] " ا هـ

*** *** ***

هذا وقد اعترض على إعراب الفراء لقول الله ﷻ : ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ﴾ بأنه يقتضي أنَّ الإيمان ينقسم إلى خير وغيره ، ودفع هذا الاعتراض بأنَّ خَيْرًا صفة مُؤَكِدَةٌ لمصدر محذوف أيْ إيماناً خيرًا لكم على حَدِّ أمس الدابر لا يعود ، لأنَّ الإيمان لا يكون إلاَّ خَيْرًا .

---

(١) معاني القرآن ٢٩٥/١ ، ٢٩٦ .

(٢) مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب شرح وتحقيق أ / عبد السلام محمد هارون ٣٠٧/١ طبع دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٨٧م .

(٣) إعراب القرآن ٥٠٨/١ .

وقيل ذكر " خَيْرًا " في قوله ﷻ : ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ تعريض بأهل الكتاب فَإِنَّ لَهُمْ إِيْمَانًا ببعض ما يجب الإيمان به كاليوم الآخر مثلا إِلاَّ أنـــه ليس خيرًا حيث لم يكن على الوجه المرضيّ (١)

*** *** ***

أقول : لم يتعرض الفراء في (معاني القرآن) لإعراب قــول الله ﷻ : ﴿ اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ (٢)﴾ مع أنَّ هذه الآية هي التى ذكر النحاس أنَّ علي بن سليمان الأخفش(٣) الأصغر خَطَّأَ الفراء في إعرابها ، أَمَّــا قــول الله ﷻ : ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ (٤) ﴾ وهي الآية التى أعربها الفراء(٥) فقد نقل النحاس(٦) إعراب الفراء لها ولم يعقب على هذا الإعراب بكلمة والسبب في ذلك عندي - فيما أعلم - أنَّ " خَيْرًا " في الآيتين ١٧٠ ، ١٧١ من ســورة النســاء مسبوق بفعل أمر لفظًا ومعنًى في الآيتين ، فسوغ ذلك لبعض العلماء كابن الشجرى(٧) وأبي حيان الأندلسيّ (١) أنْ يحملوا إعــراب قــول الله ﷻ : ﴿

---

(١) انظر : روح المعاني للألوسيّ ٢٣/٦ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٥٠٧/١ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٧١ .

(٣) هو علي بن سليمان بن الفضل أبوالمحاسن المعروف بالأخفش الأصغر نحويّ من العلمــاء من أهل بغداد أقام بمصر سنة ٢٨٧ - ٣٠٠هـ وخرج إلى حلب ثم عاد إلى بغداد وتــوفى بها سنة ٣١٥هـ وهو ابن ثمانين سنة له تصانيف منهــا شــرح ســيبويه ، والأنــواء ، والمهذب . انظر : بغية الوعاة للسيوطيّ ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ، والأعلام للزركلي ٢٩١/٤ .

(٤) سورة النساء من الآية رقم ١٧٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢٩٥/١ ، ٢٩٦ .

(٦) انظر : إعراب القرآن ٥٠٨/١ .

(٧) هو هبة الله بن علي بن محمد الحسيني أبو السعادات الشريف المعروف بابن الشجري من أئمة العلم باللغة والأدب ولد ببغداد سنة ٤٥٠هـ وتوفى بها سنة ٥٤٢هـ مــن كتبــه =

ﷺ : ﴿ اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ﴾ - وهى الآية التى لم يذكر الفراء إعرابها - على الآية التى ذكر الفراء إعرابها وهى ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ .

قال ابن الشجريْ : " أَمَّا قوله ﷺ : ﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ ففيه ثلاثة أقوال : ... " الثانى : أَنَّ خَيْرًا صفة مصدر محذوف تقديره : انتهوا انتهاءً خيرًا لكم وهو قول الفراء ، وهذا القول ليس فيه زيادة فائدة على ما دَلَّ عليه انتهوا لأَنَّ انتهوا يدل على الانتهاء بلفظه فيفيد ما يفيده الانتهاء[٢] " ا هـ

وقال أبو حيان : " في انتصاب " خيرًا لَكُمْ " هنا وفي قوله " اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ " في تقدير الناصب ثلاثة أوجه ... مذهب الفراء : إيمانًا خَيْراً لَّكُمْ، وانتهاءً خَيْراً لَّكُمْ يجعل خَيْراً نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل الذى قبله[٣] " ا هـ

*** *** ***

=الأمالي والحماسة وشرح اللمع لابن جني . انظر : الأعلام للزركلي ٧٤/٨ وبغية الوعاة للسيوطي ٣٢٤/٢ .

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسيّ الجياني النفري أثير الدين أبو حيان ، ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ له مؤلفات كثيرة منها البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم والمبدع في التصريف . انظر : الأعلام للزركلي ١٥٢/٧ .

(٢) الأمالى الشجرية للإمام العالم / ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن على بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري ٣٤٣/١ طبع الهند ١٣٤٩هـ .

(٣) البحر المحيط ٤٠٠/٣ .

هذا وقد ذكر النحاس رأي الفراء وعقَّبَ عليه فقال : " وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ " أيْ ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة (اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ) ... مذهب الفراء أنه نعت لمصدر محذوف ، قال على بن سليمان : هذا خطأ فاحش لأنه يكون المعنى انتهوا الانتهاء الذى هو خير لكم(١) " اهـ

أقول : المعنى الذى تكلفه على بن سليمان الأخفش الصغير تعقيبًا على رأي الفراء لم أعثر عليه لأحد من النحاة غيره ، بل إنَّ النحاة الذين نقلوا رأي الفراء في توجيه إعراب " خَيْرًا " في قول الله ﷻ : ﴿ اِنْتَهُوْا خَيْراً لَّكُمْ﴾ قالوا : يرى الفراء : أنَّ خَيْرًا صفة مصدر محذوف تقديره : انتهوا انتهاءً خَيْرًا لكم(٢) .

وقد عقب ابن الشجري على رأي الفراء في توجيه نصب خيرًا فقال : " هذا القول ليس فيه زيادة فائدة على مادلَّ عليه انتهوا لأنَّ انتهوا يدل على الانتهاء بلفظه فيفيد ما يفيده الانتهاء(٣) " .

وإعراب الفراء ليس خَطَأً للسبب الذى نقله النحاس عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر بل قول الفراء فنده ابن مالك فقال : " زعم هو(٤) أنَّ التقدير : انته انتهاءً خَيْرًا ، فحذف المصدر وأقيمت صفته مقامه ، وهذا

---

(١) إعراب القرآن ٥٠٩/١ .

(٢) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبي طالب القيسي ٢١٤/١ ، والأمالى الشجرية ٣٤٣/١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٨/٢ ، وشرح الكافية للرضي ١٢٩/١ ، والبحر المحيط ٤٠٠/٣ ، ومغنى اللبيب لابن هشام ١٦٩/٢ .

(٣) الأمالى الشجرية للإمام العالم / ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن على بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري ٣٤٣/١ طبع الهند ١٣٤٩هـ .

(٤) أيْ الفراء .

القول مردود بقولهم : حَسْبُكَ خَيْرًا لَكَ ، فَإِنَّ تقدير مصدر ههنا لا يَحْسُنُ ، وبقولهم وَرَاءَك أَوْسَعَ لَكَ فَإِنَّ أَوْسَعَ صفة لمكان لا لمصدر ، ومثلـــه مـــا أنشده سيبويه من قول الشاعر :

فَوَاعِدِيْـــه سَـــرْحَتَيْ مَالِـــكٍ ∴ أَوِ الرُّبَـــا بَيْنَهُمَـــا أَسْـــهَلاَ

وأسهل بمعنى مكان سهل ، وأجاز السيرافي أَنْ يكون مكانًا بعينـــه ، وعلى كل حال لا يصلح أَنْ يراد به المصدر[1] " اهـ

---

(١) شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د / عبدالرحمن الســيد ، ود / محمـــد بـــدوى المختـــون ١٥٩/٢ طبع هجر بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

التعقيب الخامس

تعقيب النحاس على الفراء في

موضع المصدر المؤول من الإعراب في قول الله ﷻ :

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا [1]﴾

قال النحاس : " ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا [2] ﴾في موضع نصب وقيل : خفض وفيه ثلاثة أقوال :

قال الفراء : أيْ لِئَلاَ تَضِلُّوا ، وهذا عند البصريين خطأ لأَنَّ " لا " لا تحذف ههنا وقال محمد بن يزيد وجماعة من البصريين : التقدير : كراهة أَنْ تضلوا ثم حذف وهو مفعول من أجله ، والقول الثالث : أَنَّ المعنى يبين الله لكم الضلالة أيْ فإذا بَيَّنَ لكم الضلالة اجتنبتموها[3] " ا هـ

*** *** ***

في موضع المصدر المؤول من (أَنْ تضلوا) قولان :

القول الأول : قال بعض النحاة : هو في موضع خفض بمعنى يبين الله لكم لِئَلاَ تَضِلُّوا وبأَنْ لاَ تَضِلُّوا ، فحذف اللام الجارة أو الباء الجارة قبل: أَنْ " وحذف: لا " بعد[4] " أَنْ " من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى لدلالة

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ١٧٦ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٧٦ .

(٣) إعراب القرآن ٥١١/١ .

(٤) انظر : حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٨٧/٢ طبع المطبعة السلطانية بتركيا سنة ١٢٨٣هـ .

الكلام عليها والعرب تفعل ذلك تقول : جِئْتُكَ أَنْ تلومنى بمعنى جئتك أَنْ لا تلومنى[1] كما قال القطامي في صفة ناقة :

رَأَيْنَا مَا يَرَى البُصَرَاءُ فِيهَا ∴ فَآلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا [2]

بمعنى أَلاَّ تُبَاعَ

القول الثاني : المصدر المؤول من (أَنْ تَضِلُّوْا) في موضع نصب وفي توجيه النصب ثلاثة آراء :

الرأي الأول : يرى الفراء : أَنَّ (أَنْ تَضِلُّوْا) مفعول من أجله والمعنى : يُبَيِّنُ الله لكم أَلاَّ تَضِلُّوْا فحذفت " لا " من الكلام لأَنَّ فيما أبقي ـليلاً على ما ألقى ، ومفعول تَضِلُّوْا محذوف والتقدير : يُبَيِّنُ الله لكم توريث الكلالة .

قال الفراء : " قوله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوْا ﴾ معناه أَلاَّ تَضِلُّوْا ، ولذلك صلحت لا في موضع أَنْ ، هذه محنة [3] لِـ(أَنْ) إذا صلحت في موضعها لِئَلاَّ وكَيْلاَ صَلُحَتْ " لا " [4] " اهـ

---

(١) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى الجزء السادس ص٣١ طبع دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) انظرالشاهد في : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت أ /عبدالسلام محمد هارون ص٤٢٠ طبع دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٩٣م والبحر المحيط ٤٠٩/٣ .

(٣) المحنة اسم بمعنى الامتحان والاختبار أي يتعرف بها حال أنْ ومعناها .

(٤) معاني القرآن ٢٩٧/١ .

الرأي الثاني : ذهب المبرد وجماعة من البصريين : أَنَّ مفعول يُبَيِّنُ محذوف والتقدير : توريث الكلالة ، وأَنْ تَضِلُّوْا المصدر المؤول من (أَنْ والفعل) في موضع نصب مفعول لأجله والتقدير : يُبَيِّنُ الله لكم توريث الكلالة كراهة أَنْ تَضِلُّوْا في توريثها فحذف المضاف (كراهة) وأقام المضاف إليه (أَنْ تَضِلُّوْا) مقامه وإنما جاز الحذف عندهم على حَدِّ قول الله ﷻ : ﴿ وَسْئَلِ القَرْيَةَ[1] ﴾والمعنى : وَاسْأَلِ أهل القرية فحذف المضاف جائز ويبقى المضاف إليه يدل على المحذوف[2] .

ورجح قول المبرد لأَنَّ حذف المضاف أسوع وأشيع من حذف " لا "[3]

الرأي الثالث : ذهب بعض النحويين إلى أَنَّ المصدر المؤول من (أَنْ تَضِلُّوْا) مفعول به[4] ، أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم إذا خليتم

---

(١) سورة يوسف من الآية رقم ٨٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٧/٢ ، والبحر المحيط ٤٠٨/٣ ، ٤٠٩ ، والجنى الدانى للمرادي ص٢٢٥ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب للبغدادي ١٨١/١ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق الشيخ على محمد معوض وزملائه ٤٧٥/٢ طبع دار الكتب العلمية ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ وحاشية الشيخ / محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٨٧/٢ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤٠٩/٣ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٥١٢/١ وحاشية الشيخ / محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٨٧/٢ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥١١/١ ، ومعاني القرآن الكريم للإمام / أبي جعفر النحاس ت الشيخ / محمد على الصابونى ٢٤٤/٢ طبع شركة مكة المكرمة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ومشكل إعراب القرآن لمكى بن أبي طالب القيسي ٢١٥/١ ، ٢١٦ ، وإملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبرى ١٤٤/١ ، والبحر المحيط ٤٠٩/٣ .

وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ، ورجح هذا القول بأنه من حسن الختام والالتفات إلى أول السورة وهو ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ (١) ﴾ فإنه ﷻ أمرهم بالتقوى وبَيَّنَ لهم ما كانوا عليه في الجاهلية ، ولَمَّا تم تفصيله قال الله ﷻ لهم: إنِّى بَيَّنْتُ لكم ضلالكم فاتقوني كما أمرتكم فَإِنَّ الشَرَّ إِذَا عُرِفَ اجتنب والخير إذا عُرِف ارتكب(٢)

*** *** ***

ولم يرض النحاس – من هذه الآراء – رأي الفراء فعَقَّبَ عليه قائلا : " قال الفراء أَيْ لِئَلاَّ تَضِلُّوْا ، وهذا عند البصريين خطأ لأَنَّ (لا) لا تحذف ههنا (٣) " ا هـ .

*** *** ***

ورأي الفراء ليس خَطَأً كما زعم النحاس ؛ لأَنَّ (لا) محذوفة لفظًا مرادة معنى والمعنى – والله أعلم – يبين الله لكم أَلاَّ تَضِلُّوْا ، لأَنَّ البيان إنما يقع لأجل أَلاَّ تَضِلُّوْا (٤) وحذف " لا : شائع ذائع ، كما في قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُوْلاَ (٥) ﴾ أَنْ تَزُوْلاَ في موضع المفعول له والتقدير لئلا تزولا وكراهة أَنْ تَزُوْلاَ (٦)

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ١ .
(٢) انظر : روح المعاني للألوسيّ ٤٥/٦
(٣) إعراب القرآن ٥١١/١
(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشيّ ٣٥٨/٤
(٥) سورة فاطر من الآية رقم ٤١
(٦) انظر : البحر المحيط ٣١٨/٧ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٥٥٦/٣

قال أبو عبيدة رويت للكسائيّ حديث ابن عمر : " لاَ يَـدْعُوَنَّ أَحَـدُكُمْ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ يُوَافِقَ مِنَ اللَّهِ سَاعَةَ إِجَابَةٍ [1] " فاستحسنه أي لئلا يوافق[2]

وكقول القطامى في صفة ناقة :

رَأَيْنَا مَا يَرَى البُصَرَاءُ فِيْهَا ∴ فَآلَيْنَـا عَلَيْهَـا أَنْ تُبَاعَـا

أيْ : أَنْ لا تُبَاعَ [3] قال عَلِيُّ بن عيسى الرماني : إنَّ التقديرين فـي قوله ﷻ : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوْا ﴾ واقعان موقعهمـا ، لأَنَّ البيـان لا يكون طريقًا إلى الضلال ، فَمَنْ حذف (لا) فقد حذفها للدلالة عليها ... إلاَّ أَنَّ المبرد حمل الحذف على الأكثر ، لأَنَّ حذف المضاف لإقامة المضاف إليه مقامه أكثر من حذف " لا " [4]

---

(١) الحديث ذكره الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه (٢٣٠٤/٤) برقم (٣٠٠٩) بلفظ " لاَ تَدْعُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَ لاَ تَدْعُوْا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوْا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوْا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيْهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيْبُ لَكُمْ " ا هـ ولم أره بهذا اللفظ الذى ذكره أبوجعفر النحاس إلاَّ في البحر المحيط لأبي حيان ٤٠٩/٣ وحاشية الشيخ محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي ٨٧/٢ لكنهما لم يُخَرِّجَا الحديث .

(٢) انظر : معاني القرآن الكريم للإمام / أبي جعفر النحاس تحقيق الشيخ / محمد على الصابونى ٢٤٣/٢ طبع شركة مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٤٧٥/٢ والبيت في ديوان القطامى ص٢٦٩ ت د / محمود الربيعى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م .
والرواية فيه : عَرَفْنَا مَا يَرَى البُصَرَاء فيها ∴ ..... بدل : رَأَيْنَا .
والبيت من بحر الوافر عروضه وضربه مقطوفان

(٤) انظر : شرح أبيات مغنى اللبيب للبغدادي ١٨١/١ .

التعقيب السادس

تعقيب النحاس على الفراء في تجويزه بناء الظرف المضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المضارعية على الفتح

ما كان من الظروف مثل إذْ في كونه ظرفاً ماضياً غير محدود نحو : حين ووقت وزمان ويوم وليلة يجوز إضافته إلى ما تضاف إليه إذْ من الجمل الماضوية المعنى اسمية كانت أو فعلية (١) ، تقول : جئتك حين سافر مبارك ، ووقت ولد أحمد ، وزمان قدِم بكرٌ ، ويوم خرج خالد إلى القتال ، وليلة اشتعلت النار في مجلس الشورى ، وجئتك حين زيدٌ أمير ، وأجيئك حين يجيء زيد ، فهذه الظروف يجوز فيها الإعراب والبناء ، سواءٌ أضيفت إلى جملة فعلية صدرت بماضٍ أو بمضارع أو جملة اسمية نحو : هذا يومَ جاء زيد إلى قريتنا ، وهذا يومَ مبارك رئيس ، وهذا رأي الفراء والكسائي .

قال الفراء : " العرب إذا أضافت اليوم والليلة إلى فَعَلَ أو يفعل، أو كلمة مجملةٍ لا خفض فيها نصبوا اليوم فى موضع الخفض والرفع ... وإنما استجازت العربُ : أتيتك يومَ مات فلان، وأتيتك يوم يقدم فلان ؛ لأنهم يريدون : أتيتك إذ قدم ، وإذا يقدَم ؛ فإذْ وإذا لا تطلبان الأسماء، وإنما تطلبان الفعل ، فلمَّا كان اليوم والليلة وجميع المواقيت فى معناهما أضيفا إلى فَعَلَ ويَفعَلُ وإلى الاسم المخبر عنه، كقول الشاعر (٢) :

---

(١) انظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/٩٤١ .
(٢) البيت من بحر الكامل .

أَزَمَانَ مَنْ يُرِدِ الصَّنِيعةَ يَصْطَنِعْ .·. مِننًا، ومَنْ يُرِدِ الزَّهادَةِ يَزْهَدِ "اهـ.[1] .

ويرى البصريون أنه لا يجوز فيما أضيف إلى جملة فعليـــة صـــدرت بمضارع أو إلى جملة اسمية إلاَّ الإعراب ، ولا يجوز البناء إلاَّ فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بماضٍ ، وقد روي بالبناء قول النابغة الذبياني (من الطويل) :

على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا .·. وَقلتُ ألمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

يروى بفتح نون حَين على البناء وبكسرها على الإعراب . [2]

هذا حكم ما يُضاف إلى الجملة جوازاً ، أما ما يُضاف إلـــى الجملـــة وجوباً فلازم للبناء لشبهة الحرف في الافتقـــار إلـــى الجملـــة كحَيْـــثُ وإذْ وإذا . [3]

* * *

قال النحاس : ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِـــدْقُهُمْ [4]﴾ هـــذه القراءة البينة على الابتداء والخبر ، وفيها وجهان آخران : أحدهما : " هَذَا يَوْمٌ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ " بالتنوين ويحذف فيه مثل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمـــاً لاَّ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٢٦/٣ .

(٢) انظر : الكتاب ٣٦٩/١ طبع بولاق ، وخزانة الأدب للبغدادي ١٥١/٣ ، والمقاصد النحويـــة للعيني على جانبي صفحات خزانة الأدب للبغدادي ٤٠٦/٣-٤١٠ .

(٣) انظر : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ .

(٤) سورة المائدة من الآية رقم ١١٩ .

تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً [1] ﴾ والوجه الآخر : " هَذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ " بنصب يوم ، حكى إبراهيم بن حميد عن محمد بن يزيد إنَّ هـذه القراءة لا تجوز لأنه نصب خبر المبتدأ ، قال أبو جعفر : ولا يجـوز فيـه البناء ، وقال إبراهيم بن السَّرِي : هي جائزة بمعنى قال الله هذا لعيسى يومَ ينفع الصادقين صدقهم ، أي قاله الله يوم القيامة ، وقال غيره : التقـدير : قال الله جل وعز : هذه الأشياء تقع يوم القيامة ، وقال الكسائي والفراء : بُنِي (يوم) ها هنا على النصب لأنه مضاف إلى غير اسـم ، كمـا تقـول : مضى يومئذ ، وأنشد الكسائي :

على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا ∴ وَقلتُ ألمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

ولا يجيز البصريون ما قالاه إذا أضفت الظرف إلى فِعْلٍ مضارع فـإن كان ماضياً كان جيدًا كما مر في البيت . [2]

***

ذكر النحاس في هذا النص في قول الله تعالى ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ ثلاث قراءات ، قراءتان سبعيتان ، وقراءة شاذة .

القراءة الأولى : قرأ السبعة ما عدا نافعاً [3] : " هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ " برفع يومُ من غير تنوين ، وتوجيهها : هذا إشارة إلى اليوم مبتدأ مبنـي علـى السكون في محل رفع ، يوم خبره .

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١٢٣ .
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥٣/٢ .
(٣) انظر : حجة القراءات ص ٢٤٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٢٣/١ ، والإتحاف ٥٤٧/١ .

والجملة محكية بقال ، وهي في موضع المفعول به لقال ، وجملة " ينفع الصادقين " في محل جرٍّ بإضافة يوم إليها ، أيْ هذا الوقت وقت نفع الصادقين صدقهم ، وفيه إشارة إلى صدق عيسى بن مريم عليه السلام [1] ، ولا شاهد لنا في هذه القراءة لما نحن فيه .

القراءة الثانية : قرأ الحسن بن عَيَّاش الشامي : يَوْمٌ برفعه منوناً ، وهذه قراءة شاذة [2] ، وتوجيهها : هذا اسم إشارة مبتدأ ، وهو إشارة إلى يوم القيامة، ويومٌ خبر المبتدأ ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب مفعول به لقال ، وجملة " يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ " في محل رفع صفة ليوم ، والعائد محذوف، والتقدير : هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم [3] ، ولا شاهد لنا في هذه القراءة لمسألتنا .

القراءة الثالثة : قرأ نافع ووافقه ابن محيصن [4] : يَوْمَ بفتح الميم من غير تنوين ، وهذه القراءة هي محل الشاهد لمسألتنا ، ولم ينسبها النحاس ولكنه حكى إنكار المبرد لها ، ثم نقل الخلاف بين الفراء والبصريين في توجيهها :

---

(١) انظر : الكتاب ٤٦٠/١ طبع بولاق ، والبحر المحيط ٦٣/٤ ، والكشف ٤٢٤/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٤٤/١ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٣١١/١ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٦١٦/١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٦٣/٤ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥٣/٢ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٦١٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٧٧/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٥/٢ .

(٤) انظر : حجة القراءات ص ٢٤٢ ، والكشف ٤٢٣/١ ، والنشر ٢٥٦/٢ ، والمهذب ٢٠٠/١، والإتحاف ٥٤٧/١ .

(أ) حكى إبراهيم بن حميد عن محمد بن يزيد إنَّ هذه القراءة لا تجوز لأنه نصب خبر الابتداء [1] ، وما حكي عن المبرد فيه نظر ؛ لأنه أنكر قراءة سبعية متواترة ، لها وجه في العربية مكين عند الفراء والبصريين كما سيأتي .

(ب) قال أبو جعفر النحاس : لا يجوز في (يَوْمَ) البناء ، وهذا رأي البصريين وسيأتي الكلام عليه .

(ج) يرى الفراء والكسائي : أنَّ (يَوْمَ) بفتح الميم من غير تنوين مبني على الفتح في محل رفع خبر لاسم الإشارة (هذا) و(هذا) مبتدأ ، وهو إشارة إلى اليوم ، وهو يوم القيامة ، وبني (يَوْمَ) على الفتح لإضافته إلى غير اسم وهو الفعل المضارع وهو غير متمكن في الإضافة إليه ؛ لأن حق الإضافة أنْ تقع على الأسماء المفردة دون الأفعال والجمل ، فلمَّا خرجت الإضافة عن أصلها بني الاسم المضاف ، قال الفراء : " قوله (هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ) ترفع اليوم بهذا ، ويجوز أنْ تنصبه لأنه مضاف إلى غير اسم ، كما قالت العرب : مَضَى يَوْمَئِذٍ بما فيه ويفعلون ذلك به في موضع الخفض قال الشاعر (من الطويل) :

رَدَدْنَا لِشَعْثَاءَ الرسولَ ولا أَرَى .·. كيَوْمَئِذٍ شيئاً تُرَدُّ رَسَائِلُهُ

وكذلك وجه القراءة في قوله﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ[2]﴾ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ [3]﴾

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٥٣.

(٢) سورة المعارج الآية رقم ١١ وقراءة فتح الميم من " يَوْمِئِذٍ " قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر . انظر : الإتحاف ٢/٥٦١ .

(٣) سورة هود من الآية رقم ٦٦ ، وقراءة فتح الميم من " يَوْمِئِذٍ " قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر . الإتحاف ٢/٣٣٧ .

بجوز خفضه في موضع الخفض ، كما جاز رفعه في موضع الرفع ، وما سيف إلى كلام ليس فيه مخفوض فافعل به ما فعلت في هذا ، كقول شاعر :

على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا ∴ وَقلتُ ألمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

وتفعل ذلك في يوم وليلة وحين وغداة وعشية وزمن وأزمان وأيام ولياٍ ، وقد يكون قوله : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ كذلك ، وقوله : ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ [1] ﴾ فيه ما في قوله : ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ﴾ [2] اهـ .

يفهم من نص الفراء أنَّ أسماء الزمان المبهمة كيوم وليلة وحين وغداة وعشية وزمن وأزمان وأيام وليال يجوز بناؤها على الفتح إذا أضيفت إلى غير اسم وهو الفعل المضارع في قوله تعالى : ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ﴾ كما قالت العرب : مَضى يَوْمَئِذٍ بما فيه ، فـ (يوم) مبني على الفتح في موضع رفع وهو فاعل مضى وبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن ، وهو إذْ ، وجاء عن العرب بناء يوم على الفتح ــ وهو في موضع خفض بحرف الجر ــ لإضافته إلى إذْ ، وهو غير متمكن في قول جرير :

كيَوْمَئِذٍ شيئاً تُرَدُّ رَسائِلهُ.

---

(١) سورة المرسلات من الآية رقم ٣٥ .
(٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

وكذلك توجيه قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي : ﴿ وَمِنْ خِـزْيِ يَوْمِئِذٍ [1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ [2] ﴾ بفتح الميم فتحة بنـاء لإضافة يوم إلى إذْ وهو غير متمكن . [3] .

ولم يذكر الفراء العلة في بناء (يوم) لإضافته إلى (ينفع) فـي آيـة المائدة ، وكذلك لم يذكر سبب بناء يوم المضاف إلى (إذٍ) فيما ذكـره مـن شواهد .

وللفراء نص أوضح من هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِـكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً [4] ﴾ .

قال الفراء : " : اجتمع القراء على نصب ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ ﴾ والرفـع جائز لو قرئ به زعم الكسائي : أنَّ العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا اليوم إلى يفعل وتفعل وأَفْعَلُ ونَفْعَلُ فيقولون : هذا يَوْمُ نَفْعَلُ ذاكَ ، وأفعلُ ذاك ، ونفعلُ ذاك ، فإذا قالوا : هذا يومَ فَعَلْتَ ، فأضافوا يوم إلى فَعَلْتَ أو إلى إذْ آثـروا النصب وأنشدونا :

على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا ∴ وَقُلتُ ألمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

وتجوز في الياء والتاء ما يجوز في فَعَلْتُ والأكثر ما فَسَّرَ الكسـائي "اهـ.[5] .

---

(١) سورة هود من الآية رقم ٦٦ .
(٢) سورة المعارج من الآية رقم ١١ .
(٣) انظر الإتحاف ٣٣٧/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٣٣/١ .
(٤) سورة الانفطار من الآية رقم ١٩ .
(٥) معاني القرآن ٢٤٤/٣ ، ٢٤٥ .

في قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ ﴾ قراءتان سبعيتان قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برفع الميم " يَوْمُ" على أنه خبر مبتدأ مضمر أي : هو يوم ، وقرأ باقي في القراء العشرة " يَوْمَ " بفتح الميم . (١) .

قال الكسائي : العرب تؤثر إعراب اسم الزمان المضاف إلى الفعل المضارع المبدوء بالياء أو التاء أو الهمزة أو النون فيقولون : هذا يَوْمُ نفعل ذاك ... فإذا أضافوا اسم الزمان إلى الفعل الماضي أو إلى إذْ آثروا البناء على الفتح كقول الشاعر : على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا

ومأقاله الكسائي هو الكثير في كلام العرب ، ويرى الفراء أنه يجوز بناء اسم الزمان المضاف إلى المضارع المبدوء بالياء والتاء على الفتح كما جاز بناء اسم الزمان المضاف إلى الفعل الماضي على الفتح كما في البيت (على حِينَ عاتَبْتُ المشِيبَ) ومن بناء اسم الزمان المبهم المضاف إلى الفعل المبدوء بالياء على الفتح قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ (٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ (٣)﴾ ومن بناء اسم الزمان المضاف إلى المضارع المبدوء بالتاء على الفتح قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ (٤) ﴾ في قراءة العشرة ما عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب ، لكن الفراء لم يذكر في كتابه (معاني القرآن) سبب بناء الظرف المضاف إلى الجملة على الفتح ، وقد ذكر ابن مالك السبب وهو شبه الظرف

---

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٦٤/٢ ، والإتحاف ٥٩٥/٢ ، وحجة القراءات ص ٧٥٤ ، والبحر المحيط ٤٠٧/٨ .

(٢) سورة المرسلات من الآية رقم ٣٥ ، وانظر : معاني القرآن ٢٢٥/٣ ، ٢٢٦ .

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ١١٩ ، وانظر : معاني القرآن ٣٢٦/٣ ، ٣٢٧ .

(٤) سورة الانفطار من الآية رقم ١٩ .

المضاف للجملة بحرف الشرط في جعل الجملة بعده مفتقرة إليه وإلى غيره بعد أنْ كانت كلاماً تاماً ، وذلك عام في كل جملة وذلك أنَّ قُمتَ من قولك : حين قُمْتَ قُمْتُ كان كلاماً تاماً قبل دخول حين عليه وبعد دخولها حدث لـــه افتقار شبه حين وأمثاله بإنْ الشرطية ، وقد استدل ابن مالك علـــى بنـــاء الظرف المضاف إلى الجملة الفعلية المضارعية والجملة الاسمية على الفتح بستة شواهد انتصر فيها لرأي الكوفيين . (١)

هذا وقد عقَّب النحاس على توجيه الفراء والكسائي لقـــراءة نـــافع : ﴿هَذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ ببناء يوم على الفـــتح لإضـــافته إلـــى الجملة الفعلية المضارعية فقال : " ولا يجيز البصريون ما قالاه إذا أضفت الظرف إلى فعل مضارع فإن كان ماضياً كان جَيِّداً " . (٢)

فالبصريون لا يجوزون بناء الظرف المضاف إلى جملة فعلية مصدرة بمضارع معرب أو جملة اسمية لعدم التناسب(٣) بين المضـــاف والمضـــاف إليه.

(د) وجه البصريون قراءة نافع ﴿ يَوْمَ يَنفَعُ ﴾ بفتح ميم يوم على أنَّ هـــذه الفتحة فتحة إعراب ويوم منصوب على الظرف .

---

(١) انظر : شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ود/ محمد بـــدوي المختـــون ٢٥٦/٣ ، ٢٥٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥٣/٢ .

(٣) انظر : شرح الكافية للرضي ١٠٧/٢ ، والبحـــر المحـــيط ٦٣/٤ ، والتصـــريح ٤٢/٢، ، ومنهج السالك للأشموني ٢٥٦/٢ .

قال الزجاج : " مَنْ نصب فعلى أنَّ يوم منصوب على الظرف المعنى : قال الله : هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم ، أي قال الله هذا في يوم القيامة ويجوز أن يكون قال الله هذه الأشياء ، وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم " ا هـ . (١)

وتوجيه الزجاج يوافق رأي البصريين ، وهو أنَّ (هذا) من قوله تعالى : " هذا يوم " إشارة إلى ما تقدم ذكره من الخبر والقصص الذي تقدم في قوله تعالى : ﴿ وإِذْ قالَ اللهُ يا عيسى ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ دونَ اللهِ ﴾ فهذا اسم إشارة مبتدأ خبره محذوف والتقدير : هذا واقع أو يقع في يوم ينفع ، ويوم ظرف للخبر المحذوف فهو منصوب على الظرفية ، وما بعد القول حكاية (٢) ، وإن لم تجعل ما بعد القول حكاية ، فيوم ظرف للقول ، وهو منصوب على الظرفية خبر المبتدأ الذي هو (هذا) لأنه حدث ، وظروف الزمان تكون إخباراً عن الأحداث تقول : القتال اليوم والتقدير : هذا مقول في يوم ينفع الصادقين ، وجملة : ينفع الصادقين ... " في محل جرٍّ بإضافة يوم إليها .(٣)

ويلزم على توجيه البصريين لقراءة نافع على الوجهين اللذين ذكرناهما وهو جعل فتحة (يوم) فتحة إعراب مخالفة معنى هذه القراءة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٢٤ .

(٢) انظر : الكشف ١/٤٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٣٧٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١/٣١١ .

(٣) انظر : الكشف ١/٤٢٤ ، ومشكل إعراب القرآن ١/٢٤٥ ، وتفسير القرطبي ٣/٢٣٧٧ .

لقراءة القُرَّاءِ الستة برفع (يوم) ، والأصل عدم المخالفة [1] بين معنى القراءتين السبعيتين ، فالمشار إليه في قراءة الرفع هو اليوم ، فلو جعلت الفتحة في قراءة نافع (يَوْمَ) فتحة إعراب لامتنع أنْ يكون المشار إليه اليوم ، لاستلزم ذلك اتحاد الظرف والمظروف والشيء لا يكون ظرفاً لنفسه، وكان يجب أن التقدير مبايناً للتقدير في قراءة الرفع ، مع أنَّ الوقت واحد والمعنى واحد ، إلا أنَّ المراد حكاية المقول في ذلك اليوم ، فلابد من كونها ما يقتضي اتحاد المعنى دون تعدد . [2]

وعلى هذا فقول النحاس : " لا يجوز فيه البناء " أي لا يجوز بناء (يومَ ينفع) على الفتح ليس بسديد ، وأيضاً ما حكى عن المبرد أنه قال : " لا تجوز القراءة بنصب (يوم) في قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ غير صحيح لأن نافعاً من القراء السبعة قرأ بنصب (يوم) ، وقد وجه القراءة الفراءُ على أنَّ فتحة (يوم) فتحة بناء ، وهو القول الراجح الذي نصره ابن مالك في شرحه للتسهيل ووجه القراءة الزجاج وغيره من البصريين بأنَّ فتحة (يوم) فتحة إعراب .

فقول المبرد : هذه القراءة لا تجوز بنصب (يومَ) خارج عن أقوال البصريين والكوفيين وقراءة القُرَّاء .

---

(١) انظر : حاشية الصبان ٢/٢٥٧ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ٢/١١ طبع الحلبي بدون تاريخ .
(٢) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٥٥ .

المبحث الثاني

تعقيبات في الحروف

وفيه أربع تعقيبات

التعقيب الأول : تعقيب النحاس على الفراء في (اللَّهُمَّ) وذلك في قول الله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ (١) ﴾ .

التعقيب الثاني : تعقيب النحاس على الفراء في (أَنْ) المُفَسِّرَة في قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّنَعْبُدَ إِلاَّاللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ (٢)﴾ .

التعقيب الثالث : تعقيب النحاس على الفراء في اللام الواقعة بعد فِعْلَي الإرادة والأمر في مثل قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ (٣) ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ (٤) ﴾ .

التعقيب الرابع : تعقيب النحاس على ما حكاه الفراء عن بني سُلَيْمٍ من فتحهم لام الأمر إذا استؤنفت نحو : لَيَقُمْ زَيْدٌ ، وما حكاه عن تميم من فتحهم لام كي .

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤ .
(٣) سورة النساء من الآية رقم ٢٦ .
(٤) سورة الأنعام من الآية رقم ٧١ .

التعقيب الأول

تعقيب النحاس على الفراء في (اللَّهُمَّ) وذلك في قول الله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ [1]﴾

اختلف الفراء والبصريون في تركيب لفظة " اللَّهُمَ " بعد إجماعهم على أَنَّهَا مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة وأنها منادى .

قال الفراء أصل اللَّهُمَ : يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بخيرٍ فكثرت في الكلام فخففت بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزة أُمَّ فضمة هاء اللَّهُمَ من همزة أُمَّ لَمَّا حذفت الهمزة للتخفيف نقلت ضمتها إلى الهاء فالميم المشددة في اللَّهُمَ بقية جملة محذوفة وهى أُمَّنَا بخير وليست عوضًا عن حرف النداء ولذلك جاز الجمع بينهما في الاختيار[2] .

وقال الخليل وسيبويه وجميع البصريين : أصل " اللَّهُمَ " يَا أَللَّهُ فَلَمَّا استعملت دون حرف النداء الذى هو (يا) جعلوا بدل حرف[3] النداء هذه الميم المشددة فجاءوا بحرفين وهما الميمان عِوَضًا من حرفين وهما الياء والألف ، وضمة الهاء في " اللَّهُمَ " هى ضمة الاسم المنادى المفرد[4] .

وأَمَّا قول العرب : يَا أَللَّهُ فَإِنَّمَا جاز نداؤه وإِنْ كان فيه الألف واللام من قِبَلِ أَنَّهُ تلزمه الألف واللام ولا تفارقانه وتنزلان منه بمنزلة حرف من نفس[5] الاسم .

*** *** ***

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٢٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ .

(٣) لَمَّا حذفت (ياء) عوض عنها الميم وأوثرت لقربها من الواو التى هى حرف علة وشددت لكونها عوضًا عن حرفين . انظر : روح المعاني للألوسيّ ١١٣/٣ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١٢٩٥/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٢.

(٥) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٩/٢ .

أصل اسم الله ﷻ تقدست أسماؤه في اللغة : إِلَهٌ بزنة فِعَالٌ بمعنى مَفْعُوْلٍ لأَنَّهُ مَأْلُوْهٌ أَيْ مَعْبُوْدٌ كقولنا : إِمَامٌ بزنة فِعَالٍ بمعنى مَفْعُوْلٍ ، لأَنَّهُ مُؤْتَمٌّ بِهِ ، ثم أدخلت عليه الألف واللام للتعريف فقيل : اَلإِلاَهُ ، ثم تخفف الهمزة – فاء الكلمة– التخفيف الصناعيَّ بِأَنْ تلين وتلقى حركتها على الساكن قبلها وهو لام التعريف فصار تقديره : اَلِلاْهُ– بكسر اللام الأولى وفتح اللام الثانية – ثم أدغموا اللام الأولى بعد إسكانها في اللام الثانية[1] وفَخَّمُوْهَا تعظيمًا[2] ، وقال بعضهم : حذفوا الهمزة حذفًا على غير وجه التليين ثم خلفتها الألف واللام ، ومثل ذلك أُنَاسٍ حذفوا الهمزة وصارت الألف واللام في الناس عوضًا منها ولذلك لا يجتمعان في سعة الكلام فَأَمَّا قول الشاعر :

إِنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْـ ـنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِيْنَا [3]

---

(١) انظر : ابن يعيش ٩/٢ ولسان العرب مادة (أ ل هِ) ١١٤/١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .

(٢) قال الزمخشريُّ في الكشاف (٦/١) : " فَإِنْ قُلْتَ : هل تُفَخَّمُ لامُهُ ؟ قلت : نعم قد ذكر الزجاج أَنَّ تفخيمها سنة ، وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل على أنهم ورثوه كَابِرًا عن كَابِرٍ " اهـ ويرى العكبرى في الإملاء (٣/١) " أَنَّ اللام في الاسم الكريم تفخم إذا لم يكن قبلها كسرة ، وترقق إذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها في كل حال ، فالتفخيم في هذا الاسم من خواصه " انتهى بتصرف .

(٣) قائله : جدن الحميري الملك ، والبيت من بحر الكامل المجزوء ضربه مرفل ، والشاهد فيه قوله : " الأناس " حيث جمع الشاعر بين الألف واللام والهمزة ضرورة والقياس النَّاس لأَنَّ أصله : أناس حذفت الهمزة وعوض عنها " ال " إِلاَّ أنها ليست لازمة إذ يقال في السعة ناس ، انظر : خزانة الأدب للبغدادى ٣٥١/١ – ٣٥٧ طبع دار صادر ببيروت لبنان الطبعة الأولى .

فضرورة ، فَلَمَّا كثر استعمال اسم الله ﷻ وكانت الألف واللام فيه عوضًا من فاء الكلمة المحذوفة فصارتا كحرف من حروفه ، فجاز نداؤه وَإِنْ كانتا فيه(١) .

والأكثر في نداء الاسم الكريم يَا أَللَّهُ بقطع الهمزة ، وذلك للإيذان من أَوَّلِ الأمر أَنّ الألف واللام خرجا عَمَّا كانا عليه في الأصل وصارا كجزء الكلمة حتى لا يستكره اجتماع يا و" أل " ، فلو كانا بقيا على أصلهما لسقط الهمزة في الدرج إذْ همزة " ال " المُعَرَّفَةِ همزة وصل .

وحكى ثعلب وأبو علي الفارِسِيِّ يَااللَّهُ بوصل الهمزة (٢)على الأصل(٣).

وكذا قال الفراء(٤) : قال سيبويه : " اعلم أَنَّهُ لا يجوز لك أَنْ تنادِيَ اِسْمًا فيه الألف واللام البَتَّةَ ، إِلاَّ أَنَّهُمْ قد قالوا : يَاأَللَّهُ اغْفِرْ لَنَا ، وذلك من قِبَلِ أَنَّهُ اِسْمٌ يلزمه الألف واللام لا يفارقانِهِ ، وَكَثُرَ في كلامهم فصار كَأَنَّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التى من نفس الحروف وليس بمنزلة الذى قال ذلك من قِبَلِ أَنَّ الذى قال ذلك وإِنْ كان لا يُفَارِقُهُ الألف واللام ليس اِسْمًا بمنزلة زيد وعمرو غَالِبًا ، أَلاَ ترى أَنَّكَ تقول : يَا أَيُّهَا الذى قال

---

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٩/٢ .

(٢) في لسان العرب مادة (أ ل ه) ١١٥/١ طبع دار المعارف ١٩٧٩م : " قالوا : يَا أَللَّهُ فقطعوا حكاه سيبويه .. وحكى ثعلب أنهم يقولون : يَا اللَّهُ فَيَصِلُوْنَ وهما لغتان يعنى القطع والوصل " اهـ . قال سيبويه (الكتاب ١١٥/٢ ت هارون) : " ... كما أَنَّهُمْ حين قالوا : يَا أَللَّهُ فخالفوا ما فيه الألف واللام ، لم يَصِلُوْا ألفه وأثبتوها " ا هـ .

(٣) انظر : شرح الكافية للرضيِّ ١٤٥/١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ .

ذاك ، ولو كان اِسْمًا غَالِبًا بمنزلة زيد وعمرو لم يجزذَاْ فيه وكَـأَنَّ الاسـم والله أعلم إِلَهٌ ، فَلَمَّا أُدْخِلَ فيه الألف واللام حذفوا الألِفَ وصـارت الأَلِـفُ واللام خَلَفًا منها ، فهذا أيضًا مِمَّا يُقَوِّيهِ أَن يكون بمنزلة ما هو من نفـس الحرف ، ومثل ذلك أُنَاسٌ فَإِذَا أَدْخَلْتَ الألف واللام قلت : النَّاس[1] ؛ إِلاَّ أَنَّ الناس قد تفارقُهم الألِفُ واللام ويكون نكرةً ، واسم الله تبـارك وتعـالى لا يكون فيه ذلك ، وليس النَّجْمُ والدَّبَرَانُ[2] بهذه المنزلة ، لأَنَّ هذه الأشـياء

---

(١) الألف واللام في الناس عوض من فاء الكلمة المحذوفة ، وأصله : أُنَاسٌ حذفوا الهمزة وصارت الألف واللام عوضًا منها ولذلك لا يجتمعان إِلاَّ في الشعر للضرورة كقول الشاعر :

إِنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِيْنَا .

والألف واللام في الاسم الكريم " الله " عوض من فاء الكلمة المحذوفة ، إِلاَّ أَنَّ الفرق بينهما أَنَّكَ إذا نزعت الألف واللام من الناس تنكر لأَنَّ أل في الناس ليست لازمة إِذْ يقال في السعة نـاس واسم الله ﷻ ال فيه لازمة لا يجوز نزعها منه البَتَّةَ لأَنَّ التنكير في اسم الله ﷻ محال فالاسـم الكريم " الله " أعرف المعارف . انظر : ابن يعيش ٩/٢ ، وشرح الكافية للرضيّ ١٤٥/١ .

(٢) ال في النجم والدبران والصعق زائدة لازمة لا يجوز نزع الألف واللام منها لأَنَّهَا هى المعرفـة في الحقيقة إِلاَّ أَنَّ الفرق بين " ال " في هذه الكلمات وبين " الْ " في الاسم الكريم " الله " أَنَّ ال في الاسم الكريم بدل من فاء الكلمة المحذوفة ، أَمَّا " ال " في النجم والصعق والـدبران فإنهـا ليست بدلا من الفاء . انظر : شرح الكافية للرضيّ ١٤٥/١ ، ويرى ابن يعـيش فـي شـرح المفصل (٩/٢) أَنَّ النجم غلب على الثريا حتى إذا أطلق لا ينصرف إلى غيره وصـار علمًـا بالغلبة كالدَّبَرَانِ والعَيُّوقِ ، ولا يجوز نزع الألف واللام منها ، لأَنَّهَا هِيَ المعرفة فـي الحقيقـة فهما سِيَّان من جهة اللزوم والغلبة إِلاَّ أَنَّ الفرق بين " ال " في النجم و ال في الاسم الجليل أنك إذا نزعت الألف واللام من النجم تنكر ولا يجوز نزع " ال " من الاسم الجليل لأَنَّ التنكير في اسم الله ﷻ محال . تعالى الله عن ذلك عُلوًا كبيرًا فهو أعرف المعارف انظر : معنى لا إلـه إلا الله للعلامة بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ت أ / محيي الدين على القرة داغى ص١١٧ طبع دار الإصلاح بالسعودية الدمام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الأَلِفَ واللام فيها بمنزلتها في الصَّعِقِ وهى في اسم الله تعالى شيءٍ غير منفصل في الكلمة[1] " ا هـ

*** *** ***

هذا وقد حكى أبو جعفر النحاس رأي الفراء ثم رأي البصريين في أصل لفظة اللَّهُمَّ فقال : " ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ[2] ﴾ الفراء يذهب فيما يرى إلى أَنَّ الأصل في " اللَّهُمَّ " يا اللَّهُ أُمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ ، فَلَمَّا كثر واختلط حذفوا منه وإِنَّ الضمة التى في الهاء هى الضمة التى كانت في أُمَّنَا لَمَّا حُذِفَتْ انتَقَلَتْ، قال أبو جعفر : هذا عند البصريين من الخطأ العظيم حتى قال بعضهم : هذا إلحادٌ في اسم الله ﷻ، قال أبو جعفر : القول في هذا ما قاله الخليل وسيبويه أَنَّ الأصل : يَا أَللَّهُ ، ثُمَّ جاءوا بحرفين عِوَضًا من حرفين وهما الميمان عِوَضًا من (يا) والدليل على هذا أنه ليس أحد من الفصحاء يقول : يا اللَّهُمَّ ، لأَنَّهُم لا يجمعون بين الشيءِ وعِوَضِهِ ، والضمة التى في " اللَّهُمَّ " عندهما هى ضمة المنادى المرفوع ، أَمَّا قول الفراء : إِنَّ الأصل يا اللَّهُ أُمَّنَا فلو كان كذا لوجب أَنْ يقال : اُوْمُمْ وأَنْ يدغم فيضم وكان

---

(١) الكتاب ١٩٥/٢ ، ١٩٦ ت هارون ، وما ذكره سيبويه في هذا النص أحد قولى سيبويه في اشتقاق لفظ الجلالة وله قول آخر قال الأصل فيه لاه قال سيبويه (الكتاب ٤٩٨/٣ ت / هارون) : " كما حذفوا اللامين من قولهم لاَهِ أبوك حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى ، ليخففوا الحرف على اللسان وذلك ينوون ، وقال بعضهم : لَهْيَ أبوك فقلبَ العين وجعل اللام ساكنة ، إِذْ صارت مكان العين ، كما كانت العين ساكنة ، وتركوا آخِرَ الاسم مفتوحًا كما تركوا أَخِرَ أَيْنَ مفتوحًا وإِنَّمَا فعلوا ذلك به حيث غيَّروه لكثرته في كلامهم" ا هـ .

(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ٢٦ .

يجب أنْ تكون أَلِفُ وَصلٍ لا حكم لها ، وكان يجب أنْ يقال:يااللَّهُمَّ ، وأيضا فكيف يَصحُّ المعنى أنْ يقال: يااللَّهُ أُمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ[1] " ا هـ .

*** *** ***

فالنحاس في النص السابق يشير إلى خلاف البصريين والفراء في أصل لفظة " اللَّهُمَّ " ثم رجح رأي البصريين وفنَّد رأي الفراء وإليك البيان :

اختلف البصريون والفراء في تركيب لفظة اللَّهُمَّ بعد إجماعهم على أنها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة وأنها منادى وأبدأ بذكر رأى البصريين ثم أذكر رأي الفراء بعد لطول الكلام عليه فأقول وبالله التوفيق :

الرأي الأول :

- يرى الخليل وسيبويه وجميع البصريين : أَنَّ اللَّهُمَّ بمعنى ياأَللَّهُ في النداء لكِنَّ الأكثر في نداء الله ﷻ أن يقال : اللَّهُمَّ تحذف حرف النداء وهو" يا " وتعوض عنها الميم المشددة في آخر الاسم الجليل ، ولم تزد الميم مكان المعوض منه وهو حرف النداء للتبرك بالبداءة باسم الله ﷻ، ولئلا يجتمع زيادتا الميم و" ال " في الأول ، وأوثرت الميم لأَنَّ الميم عهد زيادتها آخرًا كميم " زُرْقُم[2] " كما خصت الميم[3] أيضا لمناسبتها لِـ(يَا) في أنها للتعريف عند حِمْيَرٍ وشددت لتكون على حرفين كـ(يا).

---

(١) إعراب القرآن ١/٣٦٤ .

(٢) الزُرْقُمُ – بضم الزاى والقاف – الرجل الأَزْرَق . انظر : لسان العرب ٣/١٨٢٨ .

(٣) في روح المعاني للألوسيّ (٣/١١٣) : لَمَّا حذفت (يا) عوض عنها الميم وأوثرت لقربها من الواو التى هي حرف علة وشددت لكونها عوضا عن حرفين .

ولهذا لا يجمعون بينهما إلاَّ في الضرورة النادرة كقول أبي خـــراش الهذليّ (من الرجز) :

إنَّـــى إذَا مَـــا حَـــدَثٌ أَلَمَّـــا ∴ أَقُوْلُ : يَـــااللَّهُمَّ يَااللَّهُمَّـــا (١)

والضمة في هاء اللَّهُمَّ هى ضمة الاسم المُنَـــادى المفـــرد ، والمـــيم مفتوحة لسكونها وسكون الميم قبلها . (٢)

قال سيبويه : " قال الخليل – رحمه الله – اللَّهُمَّ نِدَاءٌ والميم ها هنـــا بَدَلٌ مِنْ يَا ، فهى ها هنا فيما زعم الخليل – رحمه الله – آخِرَ الكلمة بمنزلة يا في أوّلها،إلاَّ أنَّ الميم ها هنا في الكلمة كما أنَّ نُوْنَ المُسْلِمِيْنَ في الكلمة بُنِيَتْ عَلَيْهَا فالميم في هذا الاسم حرفان أوَّلُهُمَا مجزوم والهاءُ مُرْتَفِعَةٌ لأَنَّهُ وقع عليها الإعراب(٣) " ا هـــ .

الرأي الثاني : قال الفراء : " قوله : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ) " اللَّهُمَّ " كلمة تنصبها العرب وقد قال بعض النحويين : إنما نصبت إذْ زيدت فيهـــا الميمان لأنها لا تنادى بيا ، كما تقول: يَا زَيْدُ ، ويَاعَبْدَاللهِ ، فجعلت المـــيم فيها خَلَفًا مِنْ يَاْ، وقد أنشدني بعضهم :

وَمَا عَلَيْـــكِ أَنْ تَقُـــوْلِيْ كُلَّمَـــا ∴ صَلَّيْتِ أَو سَبَّحْتِ يَااللَّهُمَّ مَا(٤)

اُرْدُدْ عَلَيْنَـــا شَـــيْخَنَا مُسَـــلَّمَا

---

(١) الشاهد قوله : " يَااللَّهُمَّا يَااللَّهُمَّا " حيث جمع الشاعر بين حرف النداء والميم المشددة فـــي نداء لفظ الجلالة . انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٤١/١ .

(٢) انظر : لسان العرب مادة (أ ل ه) ١١٦/١ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية ١٤٦/٣ .

(٣) الكتاب ١٩٦/٢ ت / هارون .

(٤) انظر : شرح الأبيات في خزانة الأدب للبغدادى ٣٥٩/١ وهي من بحر الرجز .

ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلاَّ مُخَفَّفَةً مثل الفم وابنم وَهُمْ ، ونرى أَنَّهَا كانت كلمة ضُمَّ إليها أُمَ ، تريد : يا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ ، فكثرت في الكلام فاختلطت ، فالرفعة التى في الهاء من همزة أُمَّ لَمَّا تركت انتقلت إلى ما قبلها ، ونرى أَنَّ قول العرب : (هَلُمَّ إِلَيْنَا) مثلها ، إِنَّمَا كانت (هَلْ) فَضُمَّ إليها أُمَّ فتركت على نصبها ، ومن العرب من يقول إذا طرح الميم : يا أَللَّهُ اغْفِرْ لِيْ ، ويا اللَّهُ اغْفِرْ لِيْ فيهمزون ألفها ويحتقفونها ، فَمَنْ حذفها فهو على السبيل ؛ لأنها ألف ولام مثل الحارث من الأسماء ، ومن همزها توهم أنها من الحرف إذْ كانت لا تسقط منه ، أَنْشَدَنِيْ بعضهم :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ ∴ عَلَى اسْمِكَ اللَّهُمَّ [1] يَا أَللَّهُ

وقَد كثرت(اللهم) في الكلام حتى خففت ميمها في بعض اللغات أنشدنى بعضهم :

كَحِلْفَةٍ مِنْ أَبِيْ رِيَاحِ ∴ يَسْمَعُهَا اللَّهُمَ الكُبَارُ [2]

---

(١) البيت من بحر الرجز ، والشاهد قوله : " يا أَللهَ " حيث ورد لفظ الجلالة منادى مقطوع الهمزة وهذا يدل على أنَّ الهمزة نزلت من اللفظ الكريم منزلة جزء منه .

(٢) الشاهد قوله : اللُّهُمَ – بتخفيف الميم – حيث استعملت " اللُّهُمَ " في غير النداء شذوذاً لأنه فاعل يسمعها وفيه شذوذ آخر وهو تخفيف ميمه . انظر الشاهد في الدرر اللوامع للشنقيطي ١/١٥٤ ، ١٥٥ طبع دار المعرفة ببيروت وخزانة الأدب للبغداديّ ١/٣٤٥ – ٣٤٧ .

وإنشاد العامة : لاَهُمَّ الكُبَارُ، وأنْشَدَنِيْ الكِسَائِيُّ :يَسْمَعُهَا اللَّهُ واللَّـهُ كُبَارُ[1] " ا هـ .

فالفراء يرى أنَّ أصل اللَّهُمَّ : يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ فكثرت في الكلام فخففت بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزة أُمَّ [2] ، فالضمة التى في هاء " اللَّهُمَّ " من همزة أُمَّ حذفت الهمزة للتخفيف بعد نقل حركتها إلى الهاء ، فالميم المشددة في آخر " اللَّهُمَّ " بقية جملة محذوفة وهى : أُمَّنَا بِخَيْرٍ ، وليست الميم عوضًا من حرف النداء ، ولذلك جاز الجمع بينهما في الاختيار[3] فيقال : يا أَللَّهُمَّ وقد أنشدني بعضهم :

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِيْ كُلَّمَا ∴ صَلَّيْتِ أَو سَبَّحْتِ يَااللَّهُمَّ [4] مَا

أُرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا

فجمع الشاعر بين حرف النداء (يا) والميم المشددة في نداء لفظ الجلالة ولم يكتف بذلك بل زاد ميما مفردة بعد الميم المشددة ، ولو كانت الميم عوضًا من (يا) لَمَا جاز الجمع بينهما لأنه لا يجمع بين العوض

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢١/٢ وروح المعاني للألوسيّ ١١٣/٣ .

(٣) انظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمراديّ ت د / عبدالرحمن على سليمان ٢٨٩/٣ ، طبع الحلبى الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م

(٤) الشاهد قوله " يااللَّهُمَّ مَا " حيث جمع بين حرف النداء والميم المشددة ، ولم يكتف بذلك بل زاد ميما مفردة بعد الميم المشددة .انظر : شرح خزانة الأدب للبغدادى ٣٥٩/١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٣٤٢/١ ، ٣٤٣

والمعوض عنه ، ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلاَّ مُخَفَّفَةً مثل: القَمُ[1] وَابْنُمُ[2] ، وَهُمُ[3] ، أَمَّا ميم مشددة فلا تزاد[4] .

---

(١) أصل قَمْ : قَوَهْ بدليل قولهم : تَقَوَّهَ فُلاَنٌ بكذا ، وقولهم : فُلاَنٌ أَقْوَهُ مِنْ فُلاَنٍ وفُلاَنٌ مُقَوَّهٌ مثل مُكَرَّمٌ ، فحذفوا الهاء اعتباطا ولم يُعَوِّضُوْا منها شَيْئًا ، فبقيت الواو طَرَفًا مُتَحَرِكَةً فوجب إِبْدَالُهَا أَلِفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فَبَقِيَ قَا ، ولا يكون الاسم على حرفين أَحَدُهُمَا التنوينُ فَأُبْدِلَ مَكَانَهَا حرفٌ جَلْدٌ مُشَاكِلٌ لَهَا وهو الميم لأَنَّهُمَا شَفَوِيَّتَانِ ، وَفِيْ الميم هُوِيٌّ في الفَمِ يضارع امتداد الواو. انظر : لسان العرب مادة (ق و ه) ٣٤٩٢/٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م .

(٢) أصل ابْنُمٌ : ابْنٌ وأصل ابْنٌ : بَنَوٌ أَوْ بَنَوٌ حذفت لام الكلمة اعتباطا لغير علة تصريفية ، ثم عوضوا منها همزة الوصل فصار : ابْنٌ ، وقالوا : ابْنُمٌ فزادوا الميم للمبالغة والتوكيد كما زيدت فِي زُرْقُمٍ بمعنى الأزرق ، وليست الميم بَدَلاً من لام الكلمة ؛ لأنها لو كانت بَدَلاً من لام الكلمة لكانت في حكم اللام فلا يحتاج إلى همزة وصل ، لأَنَّ همزة الوصل تعاقب اللام ، ولا تدخل من الأسماء إلاَّ على المحذوفات ما خلا امْرَءًا . انظر : شرح الشافية للرضي ٢٥٢/٢ ، والمنصف شرح أبي الفتح عثمان جنى لكتاب التصريف للمازنى البصريّ النحويّ بتحقيق أ / إبراهيم مصطفى و د/ عبدالله أمين ٥٨/١ طبع دار إحياء التراث القديم الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

(٣) ضمائر الرفع المنفصلة للغائب هو ، وهي وهما وهُنَّ ، فالواو والياء في هو وهي من أصل الكلمة عند البصريين وعند الكوفيين زائدة للإشباع والضمير هو الهاء وحدها بدليل التثنية والجمع فَإِنَّكَ تحذفهما فيهما والراجح رأي البصريين لأَنَّ حرف الإشباع لا يتحرك ولا يثبت إلاَّ لضرورة ، وإِنَّمَا حركت الواو والياء في هُوَ وهِيَ لتصير الكلمة بالفتحة مستقلة حتى يصح كونهما ضميرًا منفصلاً ، إِذْ لولا الحركة لكانتا كأنهما للإشباع على ما ظَنَّ الكوفيون ، وكان قياس المثنى والجمع على مذهب البصريين : هُوَ مَا وهِيْمَا وَهُوْم وهِيْنَّ ، فخفف بحذف الواو والياء ، وزيدت الميم والألف فى (هما) فالميم زيدت لمجاوزة الواحد والألف للتثنية ، وزيدت الميم والواو في (هموا) فالميم لمجاوزة الواحد والواو للجمع ، ولذلك ضم ما قبل الميم في المثنى والجمع (هما وهموا) لأَنَّ الميم أقرب الحروف الصحيحة إلى حروف العلة لغنتها ولكونها من مخرج الواو أي شفوية ، وحذف واو الجمع مع إسكان الميم في (هم) إِنْ لم يلها ضمير أشهر من إثبات الواو مضموماً ما قبلها ، لأَنَّ الضمير (هم) حينئذٍ لا يلتبس بالواحد لأَنَّ الواحد لا ميم فيه والتثنية يلزمها الألف بعد الميم ، ولَمَّا حذفت الواو من (هموا) أسكنت الميم لأَنَّ في إبقاء الضمة إيذانًا بإرادة الواو المحذوفة إذ كانت من أعراضها انظر شرح الكافية للرضي١٠٨/٢ وشرح المفصل لابن يعيش٩٥/٣ ،٩٧ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١٢٩٦/٢ .

ويرى الفراء أنَّ قول العرب: هَلُمَّ إِلَيْنَا أىْ أَقْبِلْ ، مثل يَا أَللَّــهُ أُمُنَــا بِخَيْرٍ، فأصلها : هَلْ فَضَمَّ إليها أُمَّ بمعنى اِقْصِــدْ ، فضــموا هَــلْ إلــى أُمَّ وجعلوهما حَرْفًا وَاحِدًا ، فحولوا ضمة همزة أُمَّ إلى اللام وأسقطوا الهمزة ، فاتصلت الميم باللام[1] ، وَمِنَ العرب مَنْ يقول إذا طرح الميم يَا أَللَّهُ اِغْفِــرْ لِيْ بقطع الهمزة ، ومنهم مَنْ يقول : يَااللَّهُ اغْفِرْ لِيْ بوصل الهمزة ، فَمَــنْ قطع الهمزة توهم[2] أنَّ الهمزة نزلت من الاسم الجليل منزلة جزء منــه إِذْ كانت لا تسقط منه للزومها تفخيما لهذا الاسم الكريم .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢٠٣/١ ، ولسان العرب مادة (ه ل م) ٤٦٩٥/٦ ، ويرى الخليل بن أحمد أنَّ : هَلُمَّ يا رَجُلُ – بفتح الميم – بمعنى تَعَالَ وأصله لُمَّ مِنْ قولهم : لَمَّ اللهُ شَعَثَهُ أيْ جَمَعَهُ كأنه أردا لُمَّ نَفْسَكَ إِلَيْنَا أي اِقْرُبْ وها للتنبيه – وإِنَّمَا حذفت ألفها لكثرة الاستِعْمالِ وَجُعِلا اسمًا وَاحِدًا ، قال ابــن سِيْدَهْ : زعم الخليل أَنَّهَا لُمَّ لَحِقَتْهَا الهاء للتنبيه . انظر لسان العرب مادة (ه ل م) ٤٦٩٤/٦ وكذلك قال سيبويه أَنَّ هَلُمَّ بمعنى أَقْبِلْ وهى كلمة مركبة من ها التى للتنبيه ومن لُمَّ ولكنها قــد اســتعملت استعمال الكلمة المفردة البسيطة ، قال سيبويه (الكتاب ٥٢٩/٣ ت / هارون) : ١١ هَلُمَّ في لغــة أهل الحجاز كذلك ألا تراهم جعلوها للواحد والاثنين والجميع والذَّكَرَ والأنثى سواء ، وزعم أَنَّهَا لُــمَّ ألحقتها هَاءَ للتنبيه في اللغتين " ا هــ وانظر الكتاب ٣٣٢/٣ ، ٣٣٣ ت / هــارون وقولــه " فــي اللغتين " أي لغة أهل الحجاز التى تلزمها صورة واحدة ، ولغة بني تميم الذين يجعلونها بمنزلة الفعل المضاعف المتصرف . انظر : شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي بــذيل الكتــاب ٥٢٩/٣ ت / هارون

(٢) هذا معنى ما قاله الفراء في يَاللَّهُ اِغْفِرْ لِيَ بقطع الهمزة ووصلها ، وإليك كلامه بحروفه لأنه يحتاج إلى مناقشة قال الفراء(في معاني القرآن ٢٠٣/١ ، ٢٠٤): " من العرب مَنْ يقول إذا طرح المــيم يَاللَّهُ اِغْفِرْ لِيَ ، ويَااللَّهُ اِغْفِرْ لِيَ ، فيهمزون ألفها ويحذفونها فَمَنْ حذفها فهو على السبيل ، لأَنَّهــا ألف ولام مثل الحارث من الأسماء ، ومَنْ همزها تَوَهَّمَ أنها من الحرف إِذْ كانت لا تسقط منه " اهــ.
• في قول الفراء : " فيهمزون ألفها ويحذفونها ، فَمَنْ حذفها فهو على السبيل لأنها ألف ولام مثــل الحارث من الأسماء " ا هــ نظر : فالألف واللام في الاسم الجليل (اَللَّهُ) ليست كالألف واللام فــي الحارث ، لأَنَّ الألف واللام في الحارث يجوز نزعها منه ، فإذا نزعتها منه تنكر ، والتنكير في اســم الله ﷻ محال . انظر شرح المفصل لابن يعيش ٩/٢ . قال الخليل بن أحمد : " اَللَّهُ لا تُطْرَحَ الألف=

وأنشد الفراء في همز الألف من الاسم الجليل قول الشاعر :

مُبَــارَكٌ هُــوَ وَمَــنْ سَــمَّاهُ ∴ عَلَى اسْمِكَ اللَّهُــمَّ يَــا أَللَّــهُ

وَمَنْ وصل الهمزة من : يَااللَّهُ اِغْفِرْ لِيْ أجراها على أصلها لأنها ألف ولام مثل الألف واللام اللتين يدخلان في الأسماء المعارف زائــدتين مثــل الحارث والفضل والنعمان من الأسماء .

= من الاسم ، إِنَّمَا هو اَللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ على التمام ، قال : وليس هو من الأسماء التى يجــوز عنهــا اشتقاق فِعْلٍ ، كما يجوز في الرَحْمَن والرحيم " اهــ . انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (أ ل ه) ١٤٤/١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٩م

* وفي قول الفراء : " وَمَنْ همزها توهم أَنَّهَا من الحرف إِذْ كانت لا تسقط منه " اهــ . نظر : مَنْ قَال : يااللَّهُ – بقطع الهمزة – لم يتوهم أَنَّ الألف واللام صارت كجزء من الاسم الجليل كما يــزعم الفراء ، بل الألف واللام في الاسم الكريم عوض من همزة إِلَه فَلَمَّا حذفوا همزة إِلَهٍ – التى هى فاء الكلمة – خلفتها الألف واللام وصارتا كحرف من حروفه لا يُفارقانه البَتَّة وخرجا عَمَّا كان عليه في الأصل وهذا مما اختص به الاسم الجليل ونصوص سيبويه ناطقة بذلك ، قال سيبويه (في الكتــاب ١٩٥/٢ ، ١٩٦ ت / هارون) : " اعْلَمْ أَنَّهُ لا يجوز لك أَنْ تنادي اسما فيه الألف واللام البَتَّــةَ إِلاَّ أنهم قد قالوا : يَا أَللَّهُ اِغْفِرْ لَنَا ، وذلك مِنْ قِبَلِ أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، وكثر فــي كلامهم فصار كأَنَّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام من نفس الحروف ... كَأَنَّ الاســم – والله أعلم – إِلَهَ فَلَمَّا أُدْخِلَ فيه الألف واللام حذفوا الألف ، وصارت الألف واللام خَلَفًا منها ، فهذا أيضًــا مِمَّا يقوِّيه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحروف ، ومثل لذلك أُنَاسٌ ، فإذا أدخلْتُ الألف واللام قلت : النَّاس إِلاَّ أَنَّ النَّاسَ قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرةً ، واسم اللَّهُ ﷻ لا يكون فيه ذلــك " اهــ .

وقال (١١٥/٢ ت / هارون): " ... كما أَنَّهُم حين قالوا : يَا أَللَّهُ ، فخالفوا ما فيه الألف واللام لم يصلوا ألفه وأثبتوها " وقال (٢٧٥/٢ ت / هارون) : " كما قالوا " يَا أَللَّهُ حين خالفــت مــا فيــه الألف واللام " اهــ

وقال(٤٠٠/٢ت/هارون): " كما أَنَّ قولك يَا أَللَّهُ حين خالفت سائرما فيه الألف واللام لم يحذفوا أَلِفَهُ " اهــ

ثم قال الفراء : وقد كثرت اللَّهُمَّ في الكلام حتى خففت ميمها في بعض اللغات أنشدنى بعضهم :

كَحِلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَاحِ ∴ يَسْمَعُهَا اللَّهُمَ الكُبَارُ (١)

وإنشاد العامة : يَسْمَعُهَا لاَهُهُ الكُبَارُ، وأنْشَدَنِي الكِسَائِيُّ :

يَسْمَعُهَا اللَّهُ واللَّهُ كُبَارُ

*** *** ***

(١) البيت من قصيدة للأعشى ، وهو من بحر البسيط ، اللغة : الحلفة : المرة من الحلف بمعنى القسم ، أبو رياح : بياء تحتها نقطتان رجل من بنى تميم بن ضبيعة واسمه حصن بن بدر وكان قتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة فسألوه أنْ يحلف أو يعطى الدية فحلف ثم قتل بعد حلفته فضربته العرب مثلا لما لا يغني من الحلف ، الكُبَارُ :- بضم الكاف وتخفيف الموحدة – صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم وهو صفة لاهه على إنشاد العامة . والشاهد فيه : اللَّهُمَ فَإِنَّهَا قد استعملت في غير النداء شذوذًا وقد خففت ميمها لغة لبعض العرب وقيل للضرورة ،ينظر الشاهد في خزانة الأدب للبغداديّ ٣٤٧/١ والعينى بحواشى خزانة الأدب ٢٣٨/٤ ، ٢٣٩ ، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ٢٩١/٣ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ١٧٨/١ ، والدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع للعلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي ١٥٤/١ ، ١٥٥ طبع دار المعرفة ببيروت لبنان .

وقد خَطَّأ النحاس رأي الفراء فقال : " هذا عند البصريين من الخطأ العظيم حتى قال بعضهم[1] : هذا إلحاد في اسم الله ﷻ ... فَأَمَّا قول الفراء إنَّ الأصل : يَا أَللَّهُ أُمَّنَا ، فلو كان كذا لوجب أَنْ يقال : أُوْمُمْ وأَنْ يدغم فيضم ، وكان يجب أن تكون ألف وَصْلٍ لا حكم لها ، وكان يجب أَنْ يقال : يا اللَّهُمَّ ، وأيضا فكيف يصح المعنى أَنْ يقال : يا أَللَّهُ أُمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ[2] " ا هـ

*** *** ***

خَطَّأ النحاس رأي الفراء ونَدد به وغلطه لأسباب هى :

١- قول الفراء في أصل كلمة " اللَّهُمَّ " خطأ عظيم عند البصريين ولاسيما ما ذهب إليه الفراء من أَنَّ الضمة التى في هاء " اللَّهُمَّ " هى ضمة الهمزة التى كانت في أُمّ لَمَّا حذفت الهمزة انتقلت ضمتها إلى الهاء ، هذا خطأ عظيم لأنه يترك الضم الذى هو دليل على نداء المفرد ويجعل في اسم الله جَلَّ ذكره ضمة همزة أُمّ هذا إلحاد في اسم الله ﷻ كما قال أبو إسحاق[3] الزجاج .

٢- لو كان أصل " اللَّهُمَّ " يَا أَللَّهُ أُمَّنَا لوجب أَنْ يقال : اللَّهُ أُوْمُمْ واللَّهُ أُمَّ وكان يجب أَنْ يلزمه " يا " فتقول : يا اللَّهُ أُمَّ ، وكان يجب أَنْ تكون

---

(١) قال ذلك أبوإسحاق الزجاج شيخ النحاس انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت د/عبد الجليل عبده شلبي ٣٩٣/١ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٦٤/١ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٩٣/١ .

همزة لفظ الجلالة همزة وصل ، وكان يجب أَنْ يقال : يا اللَّهُمَّ ، ولم يقل أحد من العرب يا اللَّهُمَّ وإنَّمَا قال العرب كُلُّهُمْ : اللَّهُمَّ .

٣- كيف يصح المعنى أَنْ يقال : يَااللَّهُ أُمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ ؟

*** *** ***

هذا وقد سبق أبو إسحاق الزجاج النحاس في تفنيد رأي الفراء ، فتعقَّبَ الزجاج[١] رأي الفراء بالتفنيد والتخطئة بأدلة قوية أوجزها[٢] فيما يأتي :

١- قول الفراء : أصل اللَّهُمَّ يَأَللَّهُ أُمَّ بِخَيْرٍ جرأة عظيمة لأَنَّ كل ما كان من هذا الهمز الذى طرح فأكثر الكلام الإتيان به يقال : وَيْلُ أُمِّهِ ، وَوَيْلُ امِّهِ ولو كان أصل اللَّهُمَّ كما قال الفراء لجاز اللَّهُ اؤْمُمْ وَاللَّهُ أُمَّ ، وكان يجب أَنْ يلزمه ياء النداء فتقول : يَاأَللَّهُ أُمَّ ، لأَنَّ العرب تقول : يَاأَللَّهُ اغْفِرْ لَنَا ، ولم يَقُلْ أَحَدٌ من العرب إِلاَّ اللَّهُمَّ ، ولم يَقُلْ أَحَدٌ يَا اللَّهُمَّ ، قال الله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[٣] ﴾ وقال :﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ [٤] ﴾ .

---

(١) تعمَّد النحاس إغفال الإشارة إلى تعقيب الزجاج على رأي الفراء مع أَنَّ الزجاج أكبر شيوخ النحاس أثرًا فيه وقد اطلع النحاس على " معاني القرآن وإعرابه " للزجاج ونقل منه نقولاً كثيرة في كتابه " إعراب القرآن " انظر : مقدمة إعراب القرآن ٤٢/١ ، فتعقيب النحاس على رأى الفراء ليس من بنات أفكار النحاس .

(٢) لم أنقل نص تعقيب الزجاج من كتابه " معاني القرآن وإعرابه ٣٩٣/١ ، ٣٩٤ لأَنَّ فيه سَقْطًا كثيرًا وأخطاء طباعية أكثر .

(٣) سورة الزمر من الآية رقم ٤٦ .

(٤) سورة الأنفال من الآية رقم ٣٢ .

٢- قول الفراء : اللَّهُمَّ مُرَكَّبٌ من يَا أَللَّهُ وبعض جملة محذوفة " أُمَّنَا بِخَيْرٍ " باطل من جهات :

(أ) أَنَّ (يا) ليست في الكلام .

(ب) أَنَّ هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما تُكُلِّمَ بِمِثْلِه .

(ج) لا يُقَدَّمُ أمام الدعاء جملة " أُمَّنَا بِخَيْرٍ " التى ذكرها[1] الفراء .

١- زعم الفراء أَنَّ ضمة الهاء في " اللَّهُمَّ " هى ضمة الهمزة التى كانت في أُمَّ لَمَّا حذفت الهمزة انتقلت إلى الهاء .

فَنَّدَ الزجاج هذا الزعم فقال : هذا محال أَنْ يترك الضم الذى هو دليل على نداء المفرد ، وأَنْ يجعل في اسم الله ضمة أُمَّ هذا إلحاد[2] في اسم الله ﷻ .

٢- زعم الفراء أَنَّهُ قد يدخل حرف النداء على (اللَّهُمَّ) فيقال : يَااللَّهُمَّ واستشهد بأبيات صدرها بقوله : وقد أنشدني بعضهم :

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا
صَلَّيْتِ أَو سَبَّحْتِ يَا اللَّهُمَّ مَا
أُرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا

فلو كان الميم عوَضًا من حرف النداء لَمَا اجتمعا لأَنَّ العوض والمعوَّض لا يجتمعان .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٣/١ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٣/١

فَنَّدَ الزجاج ما زعمه الفراء قائلا : لم يرو أحد عن العرب هذه الأبيات غير الفراء وهذه الأبيات مجهولة لا يعرف قائلها ، وقول ذاك الشاعر : يا اللَّهُمَّ مَا شَاذٌ لا يعرج عليه ، وليس يعارض الإجماع وما أتى به كتاب الله[1] ﷻ ووجد في جميع ديوان العرب بقول قائل : أنشدني بعضهم وليس ذلك البعض بمعروف ولا بِمُسَمَّى[2] .

هذا وقد وَهَّنَ كثير من النحاة رأي الفراء ووجهوا إليه سهام التفنيد والتخطئة من ذلك :

١- رُدَّ قول الفراء بأنه يقال : اللَّهُمَّ لاَ تَؤُمُهُمْ بِخَيْرٍ ، وبأنه كان يحتاج إلى العاطف في نحو : اللَّهُمَّ اغفِرْ [3] لِيْ .

٢- لو كان لفظ " اللَّهُمَّ " مركب من يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ كما قال الفراء ، كان يجب أَنْ يقال : اللَّهُمَّ ويقتصر عليه لأنه معه دعاء ، قال الحسن : اللَّهُمَّ تجمع الدعاء[4]

---

(١) جاء لفظ اللَّهُمَّ في الكتاب العزيز في خمسة مواضع هى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ ﴾ " آل عمران من الآية رقم ٢٦ " وقوله ﷻ : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ " سورة المائدة من الآية رقم ١١٤ " وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ " سورة الأنفال من الآية رقم ٣٢ " وقال ﷻ : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ " سورة يونس من الآية رقم ١٠ " وقال ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ " سورة الزمر من الآية رقم ٤٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٤/١ .

(٣) انظر : شرح الكافية للرضي ١٤٦/١ ، وحاشية الصبان ١٤٧/٣ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١٢٩٦/٢ .

٣- مِمَّا يدحض رأي الفراء أَنَّكَ قد تقول : أَنْتَ اللَّهُمَّ الرَّزَاقُ ، فلو كان أصل اللَّهُمَّ كما ادَّعَى الفراء لكنت قد فصلت بجملتين بين المبتدإ والخبر(١) .

٤- لو كان أصل اللَّهُمَّ يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ فحذفوا بعض الكلام لكثرة الاستعمال فهذا القول باطل لأنَّ هذا الحذف على غير قياس وقد التزم ، وأنه لا يمتنع اللَّهُمَّ أُمَّنَا بِخَيْرٍ، والأصل عدم التكرار(٢) .

٥- لو كان أصل اللَّهُمَّ يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ كما ادَّعَى الفراء لكان ينبغي أَنْ يجوز أَنْ يقال : اللَّهُمَّنَا بِخَيْرٍ وفي وقوع الإجماع على امتناعه دليل على فساده(٣) .

٦- أَنَّهُ يَجُوْزُ أَنْ يقال " اللَّهُمَّ أُمَّنَا بِخَيْرٍ " ولو كان الأول يراد به " أُمَّ " لَمَا حسن تكرير الثاني ، لأنه لا فائدة(٤) فيه .

٧- لو كان أصل (اللَّهُمَّ) يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ كما ادَّعَى الفراء ، ما جاز أَنْ يستعمل هذا اللفظ إلاَّ فيما يؤدى عن هذا المعنى ، ولا خلاف أنه يجوز أَنْ يقال : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ ، اللَّهُمَّ أَهْلِكْهُ ، وما أشبه ذلك .

وقد قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٥) ﴾ ولو كان أصل

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١٢٩٦/٢ .
(٢) انظر : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ / خالد الأزهريّ ١٧٢/٢ .
(٣) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري ٣٤٤/١ .
(٤) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٤٤/١ .
(٥) سورة الأنفال الآية رقم ٣٢ .

اللَّهُمَّ كما زعم الفراء لكان التقدير : أُمَّنَا بِخَيْرٍ إِنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، ولاشك أنَّ هذا التقدير ظاهر الفساد والتناقض ؛ لأنه لا يكون أَمَّهُمْ بالخير أن يمطر عليهم حجارة من السماء أَوْ يُؤْتُوْا بعذاب أليم(١) .

٨- لو كانت الميم جُزْءا من الفعل المحذوف – كما ادَّعَى الفراء – ما افتقرت " إِنْ " الشرطية في الآية الكريمة إلى جواب في قوله ﷻ : ﴿ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ وكانت تَسُدُّ مَسَدَّ الجوابِ ، فَلَمَّا افتقرت " إِنْ " إلى الجواب الجواب في قوله ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ﴾ دلَّ أنها ليست من الفعل(٢) .

٩- لو كان أصل اللَّهُمَّ ؛ " يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ " لكان ينبغي أَنْ يقال : اللَّهُمَّ وارْحَمْنَا ، فَلَمَّا لم يجز أَنْ يقال إِلاَّ " اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا " ولم يجز " وارْحَمْنَا " دلَّ فساد دعوى الفراء(٣) .

هذا وقد عَقَّبَ أبو حيان الأندلسيّ على رأي الفراء في تركيب لفظة " اللَّهُمَّ " فقال : " وهو قول سخيف لا يحسن أَنْ يقوله مَنْ عنده (٤) عِلْمٌ " ا هـ

---

(١) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٤٤ .

(٢) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٤٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسيّ ت د / مصطفى أحمد النماس ١٢٦/٣ طبع المدني بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

التعقيب الثاني

تعقيب النحاس على الفراء في (أَنْ) المُفَسِّرَة في قول الله

ﷻ:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ[1]﴾

من أقسام أَنْ عند البصريين أَنْ تكون حرف تفسير وعبارة لمضمون الجملة السابقة عليها وهى حرف مهمل لا عمل له ولا يتأثر بالعوامل ؛ لأَنَّ الغرض منه إفادة التبيين والتفسير فيكون مثل أَيْ المُفَسِّرَة ، فكلاهما حرف تفسير وعبارة ولهذا يصح إحلال أَيْ محلها وإِنَّمَا يحتاج إلى التفسير إذا كان في الجملة التى قبل " أَنْ " غرابة أو إبهام أو حذف شيء[2] وشرطها أَنْ تكون الجملة قبلها مضمنة معنى القول دون حروفه[3] .

نحو قول الله ﷻ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ [4]﴾ فَأَنْ مُفَسِّرَة لِمَا في الوَحْيِ من معنى القول ، وكقوله ﷻ : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الجَنَّةُ [5]﴾ أَنْ مُفَسِّرَة لِمَا في النداء من معنى القول[6]، وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الذى يقع به التفسير والتبيين هو الجملة المتأخرة على أَنْ " اِصْنَعِ الفُلْكَ " و" تِلْكُمُ الجَنَّةُ " أَمَّا

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤

(٢) انظر : ابن يعيش ج٨ حاشية ص١٤٠ ، ص١٤١ ، وارتشاف الضرب ٤٢٤/٢ ، والنحو الوافى للأستاذ / عباس حسن ٢٩٤/٤ طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٤م .

(٣) انظر : الارتشاف ٤٢٤/٢ .

(٤) سورة المؤمنون من الآية رقم ٢٧ .

(٥) سورة الأعراف من الآية رقم ٤٣ .

(٦) انظر : الكشاف للزمخشري ٦٣/٢ ، والبحر المحيط ٤٠٠/٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٢١/٨ .

الحرف أَنْ " فمجرد أداة أو آلة أو رمز للتفسير ففي الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية(١) .

- هذا وقد جَوَّزَ ابن عصفور الإشبيلي أَنْ تكون " أَنْ " مُفَسِّرَةً بعد صريح القول قال : " أَنْ التى حرف عبارة وتفسير هى الواقعة بعد القول أو ما يرجع معناه إلى القول ويكون ما بعدها تفسيرًا لِمَا قبلها ، ولا موضع لها من الإعراب نحو : " وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الجَنَّةُ " ونحو : " وَانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا " وانطلق هنا من الانطلاق في الكلام ، ويقع بعدها كل(٢) جملة " ا هـ .

*** *** ***

وتكون (أَنْ) مُفَسِّرَةً على رأي البصريين إذا توفر فيها خمسة شروط مجتمعةً هي :

١- أَنْ يكون ما قبلها كلاماً تامًا ، لأَنَّها وما بعدها جملة مُفَسِّرَةٌ جملة قبلها، كقوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (٣)﴾ أَنْ مفسِّرة بمعنى أيْ؛ لأنَّ النداء قول وناديناه كلام تام (٤) ؛ ولذلك لم تَكُنْ (أَنْ) في قول الله ﷻ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (٥)﴾ مُفَسِّرَةً لتقدم المفرد عليها وهو المبتدأ " آخِرُ دَعْوَاهُمْ " خبره " أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) انظر : النحو الوافي ٢٩٤/٤ ، ٢٩٥

(٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي (الشرح الكبير) ت د / صاحب أبو جناح ١٧٣/٢ بتصرف طبع مديرية دار الكتب جامعة الموصل بالعراق سنة ١٩٨٢م.

(٣) سورة الصافات الآية رقم ١٠٤ .

(٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤٢/٨ .

(٥) سورة يونس من الآية رقم ١٠ .

العَالَمِينَ " ؛ لذلك فَأَنْ في هذه الآية مخففة من الثقيلة ، والمعنى : أَنَّهُ الحَمْدُ لِلَّه رَبِّ العَالَمِينَ ، ولا تكون أَنْ مُفَسِّرَةً ، لأَنَّهُ ليس قبلها جملة تامة(١) ، أَلا ترى أَنَّكَ لو وقفت على قوله " وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ " لم يكن كلامًا(٢)

٢- أن تكون الجملة التي تفسِّرها أَنْ فيها معنى القول دون حروفه ، وإنما يحتاج إلى التفسير إذا كان في الكلام غرابة أو إبهام أو حذف شيء(٣) ، من ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ (٤)﴾ المعنى ــ والله أعلم ــ أي امشوا ؛ لأَنَّ انطلاقهم قام مقام قولهم : امشوا ؛ ولهذا فسِّر به ، والمراد بالمشي الحركة السريعة لئلا يسمعوا القرآن وكلام النبي ﷺ ويعاينوا براهينه (٥) ، ويجوز أَنْ يكون المراد بالانطلاق الاندفاع في القول ، فهو متضمن لمعنى القول بطريق الدلالة ، فأَنْ مفسِّرة على هذا ، والأمر بالمشي لا يُراد به نقل الخطا ، وإنما معناه : سيروا على طريقتكم ودوموا على سيركم . (٦)

---

(١) انظر : الكتاب ١٦٣/٣ ت / هارون ، والتعليقة على كتاب سيبويه لأبي عليّ الفارسيّ ت د/عوض بن حمد القوزي ٢٧١/٢ ، ٢٧٢ طبع دار المعارف بمصر الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م .

(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤٢/٨ .

(٣) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ج ٨ حاشية ص ١٤٠ .

(٤) سورة ص من الآية رقم ٦ .

(٥) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤١/٨ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٣٨٥/٧ ، وروح المعاني للألوسي ١٦٧/٢٣ .

٣- ألاَّ يكون في الجملة المتقدمة على أنْ حروف القول إلاَّ والقول مؤول بغيره فقد جوَّزَ الزمخشري في قول الله ﷻ : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ [1]﴾ أنْ تكون " أنْ" مُفَسِّرَةً للقول على تأويله بالأمر ، أيْ ما أمرتهم إلاَّ بما أمرتني به أنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ .

قال الزمخشريُّ : " فَإِنْ قُلْتَ كيف يَصنَعُ ؟ قُلْتُ : يحمل فعل القول على معناه لأَنَّ معنى ما قلت لهم إلاَّ ما أمرتني به ، ما أمرتهم إلاَّ بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بِأَنْ اعبدوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ [2] " ا هـ .

٤- أَنْ تتأخر عن أَنِ المفسِّرة جملة أخرى مستقلة تتضمن معنى الجملة الأولى وتوضح المراد منها ، فالذي يقع به التفسير هو الجملة المتأخرة، أَمَّا الحرف (أَنْ) فمجرد أداة أو آلة أو رمز ، ففي الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية[3] ، فإِنْ تأخر عن " أَنْ " مفرد نحو أَنْ تقول: اشتريتُ عَسْجدًا أَنْ ذَهَبًا ، فهذا التركيب خطأ بإجماع النحاة ، وتصحيحه بواحد من أمرين :

الأول : ترك حرف التفسير بَتَّةً فتقول : اشتريتُ عَسْجدًا ذَهَبًا ، ويكون الثانى عطف بيان أو بدل .

---

(١) سورة المائدة من الآية رقم ١١٧

(٢) انظر : تفسير الكشاف ١/٣٧٤

(٣) انظر : النحو الوافي ٤/٢٩٤ ، ٢٩٥

الثانى : أَنْ تَأْتي بِأَيْ فتقول : اشتريتُ عسجدًا أَيْ ذَهَبًا(١)

٥- ألاَّ يتَّصِلَ بـــ(أَنْ) شيء من صلة الفعل الذى تفسِّره ، لأَنَّهُ إذا اتصـــل بها شيء من ذلك صارت من جملته ولم تكن تفسيرًا له ، وذلـــك نحـــو قولك : أَوْعَزْتُ إليه بِأَنْ قُمْ ، وكتبتُ إليه بِأَنْ قُمْ ؛ لأَنَّ الباء ههنا متعلقة بالفعل وإذا كانت متعلقة به صارت من جملته ، والتفسير إنمـــا يكـــون بجملةٍ غير الأولى. (٢)

- أنكر الكوفيون مجيء أَنِ المُفَسِّرَة البتة ؛ لأَنَّ التفســـير لـــيس فـــي معانى " أَنْ " وهى عندهم أَنْ الثنائية الناصبة للفعل (٣) ، ورجح ابن هشام رأي الكوفيين قال : " ... وهو عندي متجه ، لأَنَّهُ إذا قيـــل : كتبت إليه أَنْ قُمْ ، لم يكن قُمْ نفس كتبتُ كما كـــان الـــذهب نفـــس العسجد في قولك : هذا عَسْجَدٌ أَيْ ذهبٌ ؛ ولهذا لو جِئْتَ بأَيْ مكان أَنْ في المثال لم تجده مقبولا في الطبع(٤) " ا هـــ .

والصحيح رأي البصريين فـــي هـــذه المســـألة ، وإذا اســـتوفت أَنْ المفسرة الشروط الخمسة التي ذكرها البصريون كانت مفسرة لمفعول الفعل الذي قبلها إنْ كان متعدياً سواء كان المفعول ظاهرًا أو مُقَدَّرًا ، فـــالمفعول

---

(١) انظر : مغني اللبيب لابن هشام ٣/١ ، وعدة السالك إلى تحقيق أوضـــح المســـالك للشـــيخ العلامة / محمد محيي الدين عبد الحميد ١٥٨/٤ والكتاب حاشية بذيل أوضح المسالك إلـــى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري .

(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤٢/٨ .

(٣) انظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ٤٢٤/٢ .

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٣٠/١ ، ٣١ طبع الحلبي .

الظاهر كالذى في قوله ﷻ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ [1]﴾ .

فجملة (اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) في محل نصب لأنها مفسرة لمفعول أوحينا الظاهر (ما) والمفعول المقدر كالذى في قول الله ﷻ: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ [2]﴾ فقوله ﷻ : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ تفسير لمفعول ناديناه المقدر ، فهي في محل نصب ، أيْ ناديناه بشيء وبلفظ هو قولنا يَا إِبْرَاهِيمُ . [3]

وإِنْ كان الفعل في الجملة المُفَسَّرَة لازِمًا ، فالجملة الواقعة بعد أنْ المُفَسِّرَة لا محل لها من الإعراب ، كما يفهم من كلام ابن عصفور وابن هشام والصبان[4].

وذلك كقول الله ﷻ : ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [5] ﴾ وكقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي [6]﴾ فـ(أَنْ) في الآيتين مُفَسِّرَة لسبقها بجملة فيها معنى القول دون لفظه ، وليس في الجملة قبل (أَنْ) مفعول ظاهر أو مقدر ؛ لأَنَّ الفعل قبل (أَنْ) لازم ،

---

(١) سورة طه الآيتان رقما ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة الصافات الآية رقم ١٠٤ .

(٣) انظر : شرح الكافية للرضي ٣٨٥/٢

(٤) انظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفورلا ١٧٣/٢ ، ومغني اللبيب ٥٨/٢ ، وحاشية الصبان ٢٨٥/٣

(٥) سورة ص من الآية رقم ٦

(٦) سورة المائدة من الآية رقم ١١١

والجملة بعد (أنْ) المفسِّرة لا محل لها من الإعراب ، وأنْ مفسِّـرة للفعـل السابق وبيان له .

- ليس في القرآن الكريم آية تتعين (أنْ) فيها أنْ تكون تفسـيرية لا تحتمل غير ذلك ، كذلك ليس في أمثلة النحـويين وشـواهدهم مـا يتعين لأنْ تكون (أنْ) تفسيرية لا غير(١)
- إذا وليت (أنْ) ما فيه معنى القول ووليها فعل متصرف مصدر بلا، نحو : أَمَرْتُهُ أنْ لا يَفْعَل ، وأوحي إليك أنْ لا تَفْعَل ، جاز كون (أنْ) مخففة من الثقيلة فيرفع الفعل بعدها وتكون لا نافية ، ولا يجوز أنْ تكون لا ناهية ؛ لأنّ (أنْ) المخففة كالمثقلة لا تدخل على الجملـة الطلبية ، ويجوز أنْ تكون (أنْ) مُفَسِّرَة فتكـون " لا " للنفـي أو للنهي فيرفع الفعل بعـدها أو يجـزم ، ويجـوز أنْ تكـون (أنْ) مصدرية فينصب الفعل بعدها وتكون " لا " نافيـة ، ولا يجـوز أنْ تكون " لا " ناهية فيجزم الفعل بعدها.(٢)

وجوَّز الصبان أنْ تكون " أنْ " مصدرية و" لا " ناهية فيجـزم الفعـل بناء على الأصح من كون " أنْ " المصدرية توصل بالأمر والنهيّ . (٣)

وقد ذكر سيبويه هذه الأوجه الثلاثة بعد (أنْ) فقال : " ... تَقُـولُ : كتبتُ إليه أنْ لا تَقُلْ ذَاكَ ، وكَتَبْتَ إليه أنْ لا يَقُولَ ذَاكَ ، وكَتَبْتَ إليـه أنْ لا

---

(١) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور / محمد عبد الخالق عضـيمة القسـم الأول ٣٨٣/١ طبع السعادة بالقاهرة ١٩٧٢

(٢) انظر : شرح الكافية للرضيّ ٢٣٤/٢ .

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢٨٦/٣ .

تَقُولُ ذَاكَ ، فَأَمَّا الجزم فعلى الأمر ، وأَمَّا النصب فَعَلى قولك : لِـئَلاَّ يَقُـولَ ذَاكَ ، وأَمَّا الرفع فعلى قولك لأَنَّكَ لاَ تَقُولُ ذَاكَ أو بِأَنَّكَ لا تَقُولُ ذَاكَ تُخْبِـرُهُ بِأَنَّ ذَا قد وقع من أمْرِه[1] " ا هـ .

- وإذا ولى أَنْ الصالحة للتفسير مضارع مثبت جاز رفعه علـى أَنْ تكون أَنْ تفسيرية ونصبه على أَنْ تكون مصدرية[2] نحـو أمـرتُ محمدًا أَنْ يَفْعَلَ كَذَا
- وإذا وليت " أَنْ " ما فيه معنى القول ووليها فِعْلٌ مُتَصَـرِّفٌ مصـدَّر بغير " لا " من حروف العوض نحو : أُوْحِى إِلَيْكَ أَنْ سَـتَفْعَلُ فَـأَنْ مخففة من الثقيلة أو مفسِّرة ، وكذا قوله ﷻ : ﴿ وَنَادَيْنَـاهُ أَن يَـا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا [3]﴾ لأَنَّ الفصل بالنداء كلا فَصْلٍ[4]
- وإِنْ وَلِيَتْ (أَنْ) ما فيه معنى القول ولم يلها الفعل الصـرف بـل وليها جملة اسمية نحو : ناديته أَنْ زَيْدٌ في الـدارِ ، فهـى أيضـا مُفَسِّرَة أو مخففة ، ولا يجوز كونها مصدرية لوجوب دخولها علـى الفعل[5] .

*** *** ***

(١) الكتاب ٣/١٦٦ ت / هارون .
(٢) انظر : ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسيّ ٢/٤٢٤ .
(٣) سورة الصافات الآيتان رقما ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٤) انظر : شرح الكافية للرضيّ ٢/٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٥) انظر : شرح الكافية للرضيّ ٢/٢٣٥ .

بعد هذا التمهيد إليك نص أبي جعفر النحاس في أعاريب النحاة للفعل المضارع الواقع بعد " أنْ " الصالحة للتفسير المسبوقة بِـ(لا) في قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً [1]﴾ قال أبو جعفر النحاس : " قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ [2] " وقرأ قَصَبُ (كِلْمَةٍ) أَلْقَى حركة اللام على الكاف كما يقال: كِبْدٌ ، فقال أبو العالية: الكلمة لا إله إِلاَّ الله (سَوَاءٌ) نعت لكلمة ، وقرأ الحسن (سَوَاءً) بالنصب[3] ، أيْ اسْتَوَتْ اسْتِوَاءا ، قال قتادة : السواء العدل ، قال الفراء : وَيُقَالُ في معنى العَدْلِ سِوىً وَسُوَيً ، قال : وفي قراءة عبد الله (إِلَى كَلِمَةِ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ) على البدل من كلمة ، وإِنْ شِئْتَ كان التقدير هى أَنْ لا نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ (وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) قال الكسائيُّ والفراءُ : ويجوز(وَلاَ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا) بالجزم على التوهم إِنَّهُ ليس في أول الكلام " أَنْ " .

قال أبو جعفر : التَّوَهُمُ لا يحصل منه شَيْءٌ ، ولكن مذهب سيبويه أَنَّهُ يجوز في " نَعْبُد " وما بعده الجزم على أَنْ تكونَ " أَنْ " مُفَسِّرَةً بمعنى أَيْ ، كما قال ﷻ : ﴿ أَنِ امْشُوا [4]﴾ وتكون " لا " جازمة ويجوز على هذا أَنْ

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤ .
(٣) هذه قراءة شاذة وتوجيهها " سَوَاءً " مفعول مطلق لفعل محذوف كأنه قال : استوت استواءً، ويجوز أَنْ ينتصب على الحال من كلمة وإِنْ كان ذو الحال نكرة وقد أجاز ذلك سيبويه وقاسه . انظر البحر المحيط ٤٨٣/٢ ، وشواذ ابن خالويه ص٢٧ .
(٤) سورة ص من الآية رقم ٦ .

يُرْفَعَ نَعْبُدُ وما بعده ويكون خَبَرًا ، ويجوز الرفع بمعنى أَنَّهُ لا نَعْبُدُ ، ومِثْلُهُ ﴿ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ (١) قَوْلاً ...(٢) ﴾ " اهـ .

*** *** ***

أشار النحاس في النص السابق إلى قراءات وأعاريب في الآية الكريمة: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ(٣)﴾ والذي يعنيني هو بيان الأوجه الإعرابية في الآية الكريمة وهي :

- قرأ جمهور القراء وحفص عن عاصم : " أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ " بنصب الأفعال الثلاثة وتوجيهها :

أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ : أَنْ : مصدرية ناصبة للفعل نعبد ، ولا : نافية ، ولم يعتد بها فاصلاً بين أَنْ والمضارع لأنها تؤول مع الفعل باسم واحد ، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره : نحن ، إِلاَّ : أداة حصر حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، اللَّهُ : لفظ الجلالة مفعول به ، والمصدر المؤول من " أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ " في محل جر بدل من " كلمة " أو من " سواء " والتقدير : تعالوا إلى ترك عبادة غير الله . (٤)

---

(١) سورة طه من الآية رقم ٨٩ .
(٢) إعراب القرآن ٣٨٣/١ ، ٣٨٤ .
(٣) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤ .
(٤) انظر : إملاء ما مَنَّ به الرحمن للعكبرى ٧٧/١ .

ويجوز أنْ يكون المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدإ محـــذوف تقديره : هى أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ كَأَنَّ قائلاً قال : ما الكلمة ؟ فأجيب فقيل : هى أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ[1] ، ولولا عمل (أنْ) لجاز أنْ تكون (أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّـــهَ) مُفَسِّرَة لـــ(كلمة)[2] ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا : الواو حرف عطف ، لا : نافية ، نشرك معطوف على نعبد المنصوب وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ: الواو: حرف عطف ، لا : نافيـــة ، يتخـــذ : معطـــوف علـــى نعبـــد المنصوب.

- ويجوز عَرَبِيَّةً رفع الأفعال الثلاثة (نَعْبُدُ ، نُشْرِكُ ، يَتَّخِذُ) وللرفـــع توجيهان نحويان :

التوجيه الأول : أنْ : حرف تفسير[3] لا محل له من الإعـــراب ، لا : نافية ، نُعْبُدُ : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، إِلاَّ : أداة حصر ، لفظ الجلالة مفعول به ، وَلاَ نُشْرِكَ :الواو: حـــرف عطـــف ، ولا : نافية ، ونشركُ معطوف على نَعْبُدُ المرفوع ومثله ولا يَتَّخِذُ ، و" أنْ " فـــي " أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ " مُفَسِّرَةُ لكلمة وهى في معنى القول دون حروفـــه ؛ لأَنَّ معنى الكلمة القول ، كأنك قلت تعالوا نقول : لا نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٥ .
(٢) انظر : روح المعاني للألوسيّ ٣/١٩٣ .
(٣) انظر : الجنى الداني للمرادى ص٢٢١ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١/٣٢ .

وجاز تفسير الكلمة بهذه الجمل (لا نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً ...) لأَنَّ العرب تسمى كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر كلمة . (١)

روى أَنَّ الحويدرة ذكر لحسان بن ثابت ﷺ فقال : " لَعَنَ الله كلمته " أي قصيدته(٢) ، وفي الحديث : قال النبـي ﷺ : ﴿ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَاعِرِ كَلِمَةُ لَبِيْدٍ : أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللَّهُ بَاطِلٌ (٣) ... ﴾ ا هـ .

وهذه الجمل : (لا نَعْبُدُ ، لا نُشْرِكُ ، لا يَتَّخِذُ ...) لا محل لها من الإعراب لأَنَّهَا مُفَسِّرَةٌ وهذا رأى ابن هشام الأنصاري (٤) في الجملة المفسرة ، أو في محل جر بدل أو عطف بيان لكلمة على رأي أبي علي اشلوبين(٥) ، وهذه الأفعال الداخلة عليها أداة النفي متقاربة في المعنى يؤكد بعضها بعضًا إِذْ اختصاص الله بالعبادة يتضمن نفي الاشتراك ونفى اتخاذ الأرباب من دون الله ولكن الموضع موضع توكيد وإسهاب ونشر كلام؛ لأنهم كانوا مبالغين في التمسك بعبادة غير الله فناسب ذلك التوكيد في انتفاء ذلك . (٦)

---

(١) انظر : معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٤/١ ، ٤٢٥ ، والفتوحات الإلهية للعلامة سليمان الجمل ٣٢١/١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤٤٧/٢ .

(٣) انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وضعه أ / محمد فؤاد عبدالباقى ٢٠٩/٢ طبع استانبول تركيا ١٩٨٢م .

(٤) انظر : مغني اللبيب لابن هشام ٥٨/٢ .

(٥) انظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسيّ ٣٧٤/٢ ، ٣٧٥ ، ومغني اللبيب ٥٨/٢ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٨٤/٢ .

* التوجيه الثاني : " أَلاَّ نَعْبُدُ إِلاَّ اللَّهَ " أَنْ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف ، لا : نافية عوض من المحذوف مع (أَنْ) وهو أحد النونين والاسم/نَعْبُدُ : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره : نحن ، إلاَّ : أداة حصر حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، الله : لفظ الجلالة مفعول به والجملة من الفعل والفاعل والمفعول في محل رفع خبر (أَنْ) المخففة من الثقيلة ، وجملة الخبر مُفَسِّرَة لضمير الشأن ، ولم يأتِ في هذه الجملة بعائد إلى المبتدإ لأنها نفسه في المعنى ؛ولذلك كانت مُفَسِّرَة له لأنها هي الضمير في المعنى .

* ويجوز جزم " أَلاَّ نَعْبُدْ " وما عطف عليه " ولا نُشْرِكْ ... وَلاَ يَتَّخِذْ " من حيث صناعة الإعراب ، وتوجيهها نحوياً هو أَنْ تكون (أَنْ) في " أَلاَّ نَعْبُدْ " مُفَسِّرَة لكلمة ، لأَنَّ كلمة فيها معنى القول دون حروفه ؛ لأَنَّ معنى " كلمة " كلام فيه شرح قصة وَإِنْ طال ، و" لا " ناهية ، نَعْبُدْ : فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه السكون ، والمَنْهِيُّ هو النَّاهِيْ في الحقيقة كَأَنَّهُمْ نَهَوْا أنفسهم عن عبادة غير الله[1] و " لا نُشْرِكْ " مجزوم بلا الناهية، ولا يَتَّخِذْ : مجزوم بلا الناهية أيضاً والجملتان معطوفتان بالواو على " أَلاَّ نَعْبُدْ " .

وجاز تفسير الكلمة بهذه الجمل : " أَلاَّ نَعْبُدْ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ " لأَنَّ العرب تُسَمِّي كل قصة

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٦/١ .

أو قصيدة لها أول وآخر كلمة[1] ، والمراد بالكلمة هنا كلمة التوحيد " لا إله إلاَّ الله " وهى كلمات لا تتم النسبة المقصودة فيها من حصر الإلهية في الله ﷻ إلاَّ بمجموعها.[2]

وهذه التوجيهات الإعرابية في الآية الكريمة هي توجيهات البصريين، وقد أشار سيبويه إلى هذه الأوجه الإعرابية الجائزة في مثل هذا التركيب فقال : " تَقُولُ : كتبتُ إليه أنْ لا تَقُلْ ذَاكَ ، وكَتَبْتَ إليه أنْ لا يَقُولَ ذَاكَ ، وكَتَبْتَ إليه أنْ لا تَقُولَ ذَاكَ ، فَأَمَّا الجزم فعلى الأمر[3] ، وأَمَّا النصب فَعَلَى قولك لئلاَّ يَقُولَ ذَاكَ وأَمَّا الرفع فعلى قولك لأَنَّكَ لاَ تَقُولُ ذَاكَ أو بِأَنَّكَ لا تَقُولُ ذَاكَ تُخْبِرُهُ بِأَنَّ ذَا قد وقع من أَمْرِه[4] " ا هـ

- هذا وقد أجاز الفراء جزم " " ولاَ نُشْرِكُ ... وَلاَ يَتَّخِذْ " على توهم أنه ليس في المعطوف عليه – أَلاَّ نَعْبُدْ – أنْ .

قال الفراء : " وَلَوْ جَزَمْتَ العُطُوفَ لَصَلَحَ على التَّوَهُمِ ؛ لأَنَّ الكلام مجزوم لو لم تكن فيه (أَنْ) كما تقول : تَعَالَوْا لاَ نَقُلْ إلاَّ خَيْرًا [5] " ا هـ .

- وقد عَقَّبَ النحاس على إعراب الفراء فقال : " قال أبو جعفر : التَّوَهُمُ لا يحصل منه شيءٌ [6] " ا هـ

---

(١) انظر : الفتوحات الإلهية للجمل ٣٢١/١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤٨٣/٢ .

(٣) مراد سيبويه بقوله " أَمَّا الجزم فعلى الأمر : أي الجزم في قوله : كتبت إليه أنْ لا تَقُلْ ذَاكَ على الأمر بترك القول وهذا وإنْ كان نهيا لفظا لكن سيبويه قصد المعنى أي الجزم في المثال على الأمر بترك الفعل والأمر كالنهى ، إذ النهى طلب ترك الفعل والأمر طلب حصول الفعل ، قال ابن مالك في شرح التسهيل ٤١/٢ : " فَأَمَّا الجزم فعلى الأمر " عبَّر بالأمر عن النهى " ا هـ .

(٤) الكتاب ١٦٦/٣ ت / هارون .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٢٠/١ .

(٦) إعراب القرآن ٣٨٤/١ .

فحوى تعقيب النحاس أننا لو توهمنا أنَّ (أنْ) في " أَلاَّ نَعْبُدْ " غير موجودة فالفعل (نَعْبُدْ) مجزوم بلا الناهية و(أنْ) لا تأثير لها من جهة العمل على إعرابها مُفَسِّرَة بمعنى أيْ ؛ لأَنَّهَا حرف مهمل لا يعمل ولا يتأثر بعامل ، وتقع بعدها الجملة المُفَسِّرة مصدرة بفعل أمر كقول الله ﷻ : ﴿ وَانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [1] ﴾ .

وكقول سيبويه : " أمَّا قوله : كتبتُ إليه أَنْ افْعَلْ وأمرته أَنْ قُمْ فيكون على وجهين ... الوجه الآخر : أَنْ تكون بمنزلة أيْ كما كانت بمنزلة أيْ في الأول[2] " ويقع بعد (أَنْ) المُفَسِّرَة فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، قال سيبويه : تَقُوْلُ : كتبتُ إليه أَنْ لا تَقُلْ ذَاكَ ، وكَتَبْتَ إِليه أَنْ لا يَقُولَ ذَاكَ، وكَتَبْتَ إِليه أَنْ لا تَقُولَ ذَاكَ ، فَأَمَّا الجزم فعلى الأمر[3] ... " .

أيْ على الأمر بترك القول ، فالفعل (لا تَقُلْ) مجزوم بلا الناهية ، وهو أمر في المعنى بترك القول وهذا عين النهي ، فالأمر كالنهي ، إِذْ النهي طلب ترك الفعل والأمر طلب حصول الفعل[4] .

ونكتة وجود (أَنْ) المُفَسِّرَة فى الآية الكريمة على تجويز جزم الفعل بعدها وجزم الأفعال المعطوفة عليها ، هى أنَّ هذه الجمل الواقعة بعد (أَنْ) مُفَسِّرَة لكلمة في قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدْ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا ... ﴾

---

(١) سورة ص من الآية رقم ٦ .
(٢) الكتاب ١٦٢/٣ ت / هارون .
(٣) الكتاب ١٦٦/٣ ت / هارون .
(٤) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٧، ١٨ .

هذه الجمل " أَلاَّ نَعْبُدْ ، ولاَ نُشْرِكُ ... وَلاَ يَتَّخِذْ " لا محل لها من الإعراب مُفَسِّرَة وكاشفة لحقيقة كلمة لأنها تفتقر إلى التبيين والتفسير .

أمَّا على رأي الفراء وهو توهم سقوط أَنْ في " أَلاَّ نَعْبُدْ " وجزم الأفعال المعطوفة لأَنَّ الكلام مجزوم لو لم تكن فيه (أَنْ) كما تقول : تَعَالَوْا لا نَقُلْ إِلاَّ خَيْرًا .

فالفرق كبير بين الآية الكريمة والمثال الذى ذكره الفراء فالآية الكريمة جملتان : الأولى : (تَعَالَوَا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) وفيها غموض أو إبهام .

والثانية : أَلاَّ نَعْبُدْ إِلاَّ اللهَ ولا نشركْ ... ولا يَتَّخِذْ " مُفَسِّرَة لهذا الغموض وكاشفة لذاك الإبهام وذلك أوقع في النفس ، لأَنَّ السامع إذا سمع الجملة الأولى فلم يفهم منها معنى واضحا وقف موقف المنتظر المتشوف لجملة ثانية تعقبها تفسر هذا الإبهام وتكشف هذا الغموض فإذا جاءت الجملة الثانية والنفس ترقبها في لهف وشغف تمكنت منها فضل تمكن .

أَمَّا مثال الفراء : تَعَالَوْا لا نَقُلْ إِلاَّ خَيْرًا فجملة إنشائية واحدة عارية من تلك النكتة التى يفوح أريجها من الآية الكريمة .

والذى حمل الفراء على ما قاله أنه والكوفيون من بعده ينكرون مجيء (أَنْ) مُفَسِّرَة وإِنَّمَا يزعمون أَنَّ (أَنْ) التى يعدها البصريون مُفَسِّرَة هى المصدرية الثنائية الوضع التى من شأنها نصب المضارع وأَنْ

المصدرية توصل بالفعل المتصرف من ماضٍ ومضارع وأمر والنهى كالأمر[1] .

فالفراء جَوَّزَ الجزم في الآية الكريمة على توهم أنَّ (أَنْ) غير موجودة ، وهذا التوهم ليس فيه من فائدة نحوية أو معنوية .

(١) انظر : البحر المحيط ٦/٣٦٤ .

التعقيب الثالث

تعقيب النحاس على الفراء في اللام الواقعة بعد فِعْلَي الإرادة والأمر في مثل قول الله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ [1]) وقوله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ [2] ﴾

تمهيد :

تعددت آراء النحاة في اللام الواقعة بعد فعلي الإرادة والأمر ، وإليك آراءهم في هذه المسألة :

١- يرى الخليل بن أحمد وسيبويه وجمهور البصريين أنَّ اللام بعد فعلي الإرادة والأمر للتعليل وهى متعلقة بمحذوف خبر والفعل قبلها يراد به المصدر مبتدأ .

قال سيبويه : " وسألته[3] عن معنى قوله : أُرِيْدُ لأَنَّ أَفْعَلُ ، فقال : إنَّمَا يريد أَنْ يقول: إرادتى لهذا ، كما قال الله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ[4] ﴾ إنَّمَا هو أمرت لهذا [5] " ا هـ .

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ٢٦ .

(٢) سورة الأنعام من الآية رقم ٧١ .

(٣) يعنى الخليل بن أحمد الفراهيدي – رحمه الله – .

(٤) سورة الزمر الآية رقم ١٢ .

(٥) الكتاب ١٦١/٣ ت / هارون .

فيفهم من النص أنَّ الفعل مقدر بمصدر[1] من غير سابك وهو مرفوع بالابتداء واللام للتعليل متعلقة بمحذوف خبر عنه ، أي إرادتى كائنة للفعل ، وأمرى كائن للإسلام وعلى هذا فلا مفعول للفعل .

وقال المبرد : " أمَّا قوله ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ [2]﴾ فَإِنَّمَا حمل الفعل على المصدر والمعنى – والله أعلم – أوقع إِلَيَّ هذا الأمر لِذَا [3] " ا هـ .

٢- ذهب بعض البصريين إلى أَنَّ اللام للتعليل والمفعول محذوف ، والتقدير في قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ [4] ﴾ وقوله ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ [5] ﴾ التقدير : يريد الله التبيين ليبين لكم ويهديكم أى ليجمع لكم بين الأمرين ، وأمرنا بما أمرنا به لِنُسْلِمَ [6]

٣- يرى الزمخشريُّ أَنَّ اللام زائدة لتقوية المعنى وتأكيده ، قال الزمخشريّ : في قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ [7] ﴾ قال : أصله: يريد الله أَنْ يبين لكم ، فزيد اللام مؤكدة لإرادة التبيين ، كما زيدت في لا أبالك لتأكيد إضافة الأب[8] " ا هـ .

---

(١) لأَنَّ الفعل إذا جرد عن الزمان وأريد به الحدث فقط كان كالاسم في صحة الإضافة والإسناد إليه . انظر : مغني اللبيب وحاشية الأمير عليه ١/١٨٠ ، وحاشية الصبان ٣/٢٩١ .

(٢) سورة الزمر من الآية رقم ١٢ .

(٣) المقتضب للمبرد ت د / محمد عبد الخالق عضيمة ٢/٣٥ .

(٤) سورة النساء من الآية رقم ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام من الآية رقم ٧١ .

(٦) انظر : مغني اللبيب لابن هشام ١/١٨٠ .

(٧) سورة النساء من الآية رقم ٢٦ .

(٨) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٣ .

وقال في قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ [1] ﴾ .

قال : " كأنَّ هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدًا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبالك تأكيدًا لمعنى الإضافة في لا أباك [2] " ا هـ .

وقال في قوله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ [3] ﴾ .

قال : " لك أنْ تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأنْ أفعَلَ ، ولا تزاد إلاَّ مع أنْ خاصة دون الاسم الصريح كَأَنَّهَا زيدت عوضًا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ، كما عَوَّضَ السين في أسطاع عوضًا من ترك الأصل الذى هو أطوع ، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [4] ﴾ و﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [5] ﴾ و﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ [6] أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ [7] ﴾ .

---

(١) سورة الصف من الآية رقم ٨ .
(٢) الكشاف للزمخشريّ ٤/٩٤ .
(٣) سورة الزمر الآية رقم ١٢ .
(٤) سورة يونس من الآية رقم ٧٢ .
(٥) سورة يونس من الآية رقم ١٠٤ .
(٦) سورة الأنعام من الآية رقم ١٤ .
(٧) الكشاف للزمخشرى ٣/٣٤٢ .

٤- ذهب رضيّ الدين الاستراباذي وابن هشام الأنصاريّ إلى أنَّ اللام بعد فعلي الإرادة والأمر زائدة (١)

٥- يرى أبو حيان الأندلسيّ : أنَّ اللام الواقعة بعد فعلي الأمر والإرادة للتعدية ، قال في قول الله ﷻ : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ (٢)﴾

قال : " الذى يقتضيه النظر أَنَّهُ كثير في لسان العرب تعدى لفظ الأمر والإرادة إلى معمول باللام كهذا المكان وكقوله : " وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ " .

وقول الشاعر : (من الطويل) :

أُرِيْدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا ∴ تُمَثَّلُ لِيْ لَيْلَى بِكُلِّ طَرِيْقِ (٣)

فهذه اللام يجوز أَنْ تَأتي بعدها أَنْ ، وأَنْ يكتفى بها دون " أَنْ " وأَنْ يؤتى(بأَنْ) وحدها كقوله ﷻ : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ (٤)﴾ وتأويل مَنْ جعل (يريد) و (أُمِرْتُ لأُسْلِمَ) على تأويل المصدر بغير حرف سابك ، فيقدر إرادتى ليجعل ، وأمرى لأسلم ، فيكون مبتدأ في التقدير والخبر في (ليجعل)

---

(١) انظر : شرح الكافية للرضي ٢/٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٢٩ ، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري ص٢٩٧ ت أ / محمد محيي الدين عبد الحميد طبع السعادة بمصر الطبعة العاشرة سنة ١٩٦٥م .

(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٦ .

(٣) انظر الشاهد في البيت في اللامات للزجاجى ص١٥١ ، والبحر المحيط ٢/٤٢ ، ومغني اللبيب ١/١٨٠ وشرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٤/٣٠٨ – ٣١١ ، ٣٦٠ ، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للعلامة الشيخ / محمد عليان المرزقى ص١٠٤ والكتاب ملحق بالجزء الرابع من تفسير الكشاف للزمخشريّ.

(٤) سورة غافر من الآية رقم ٦٦ .

وفي (لأسلم) تقديره : إرادتى كائنة للجعل ، وأمري كائن للإســـلام فهـــو تأويل متكلف[1] " ا هـــ .

٦- يرى الفراء : أنَّ اللام بعد فعلي الإرادة والأمر بمعنى (أنْ) وهـــى لام تفيد التعليل بمعنى كى وهى ناصبة للفعل بنفسها بطريق الأصالة[2]

٧- ذهب بعض النحاة إلى أنَّ اللام في قوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ [3] ﴾ لام العاقبة [4] ، كاللام في قوله ﷻ : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً [5] ﴾

٨- يرى أبو جعفر النحاس أنَّ اللام بعد فعلـــي الأمـــر والإرادة لام كـــى[6] معناها التعليل ومفعول يريد في قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ محذوف والتقدير : يريد الله هذا أي تحليل ما حلل وتحـــريم مـــا حَـــرَّم وتشريع ما تقدَّم ذكره لِيُبَيِّنَ لكم أَمْرَ دينكم ومَا يَحِلُّ لكـــم ومَـــا يُحَـــرَّمُ عَلَيْكُم، فاللام في (لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) للتعليل والفعل " يُبَيِّنَ " منصـــوب بـــأنْ مضمرة جوازًا بعد لام التعليل ومفعول " يُبَيِّنَ " محذوف تقديره : أمـــر دينكم وما يحل لكم وما يحرم عليكم ، فمتعلق الإرادة غير التبْيِيْنِ ومـــا عطف عليه[7]

*** *** ***

(١) النهر المادّ من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسيّ والكتاب حاشية على جانبي صفحات البحر المحيط ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ وانظر : البحر المحيط ١٥٩/٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦١/١ – ٢٦٣ ، ٣٣٩ ، ٢٨٢/٣ .

(٣) سورة النساء من الآية رقم ٢٦ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٢٢٥/٣ .

(٥) سورة القصص من الآية رقم ٨ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٤٧/١ ، ٤٤٨ ، وقد قال النحاس في أكثر من موضع أنَّ هذه الـــلام لام كى . انظر : إعراب القرآن ١٠/٢ ، ٧٤ ، ٨٠/٥ ، ٢٧٣

(٧) انظر : البحر المحيط ٢٢٥/٣ .